ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1077 - الجمعة 28 جمادى الأولى 1425 هـ - الموافق 16 يوليوز 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

البراءة من الشرك

من أجل بناء أسرة سعيدة

السندسة في معرفة الأوقات

العلم الإلهي الثاني: علم تنزيل المطر

المصلحة المرسلة وحجيتها

إنما يخشى الله من عباده العلماء

غير خاف أن الله تبارك وتعالى خص العلماء بالمنزلة الرفيعة والمكانة العلية وحملهم بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم ينوبون عن الأنبياء في نشر الهدى ونصح الناس وتوجيههم قال عليه الصلاة والسلام: (العلماء ورثة الأنبياء) فزيادة على ما لمهمتهم السامية من تشريف فإن تكليفهم بحمل الدعوة جر عليهم أداء ضريبة باهضة الثمن تستدعي من الموجه للناس إلى الخير الصبر على ما يوجه إليه من سهام النقد الجاهزة بدون أدنى مبرر....

فالناس منهم من يستمع القول فيتبع أحسنه... ومنهم من لابد للداعي أن يحاول معه حتى يرجعه للجادة – إن أمكن له ذلك – ويستعمل لهدايته ما في وسعه.

فعلى الموجه أن لا يبخل بأي نوع من أنواع النصح التي يمكن أن تؤثر على السامع من حكمة وموعظة ومجادلة بالتي هي أحسن امتثالا لأمر الله "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" وعلى الداعية كذلك أن يبقى مستمرا في طريقه لهداية من هو في حاجة إلى الوعظ ولا يكترث بما يزرع في سبيله المستقيم من أشواك الضلال التي توضع في طريقه قصد تكميم فمه عن قول الحق والصدع به وثنيه عن مواصلة سيره في طريق الله الذي لا عوج فيه بإرشاد الخلق لما يصلح حاله ومآله.

فمن أهله الله لإرشاد الناس ووهبه علما وورعا وحسن تبليغ فقد أراد به خيرا كثيرا قال(ص): (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) والرسول عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى – حاشى ومعاذ الله – فلا يضر الداعية المخلص في عمله الراغب في إصلاح عباد الله ما يختلق له من إرهاب فكري قصد تكميم فمه عن الهدي الرباني لإصلاح شرائح هذا المجتمع الذي نهشته أنياب الخلاعة والميوعة.

فمهمة العالم العامل الواعي هي أن يوجه وينصح وينبه عباد الله لما يخدم دينهم ودنياهم ويذكرهم بأيام الله ويبين لهم أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن أراد به خيرا وعصمه من ذنب الشرك الذي لا يغفر فرحمته وسعت كل شيء.... قال تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء". وقال تعالى: "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وعلى الداعية المتبصر أن يجعل في حسبانه أن هناك فريقا قدر الله عليه أزلا أن لا يقتنع بما يدعو له العالم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فالله غالب على أمره يفعل في خلقه ما يشاء قال تعالى: "أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون"

فما علينا إلا أن نوجه بالكلمة الطيبة الرقيقة ذات الأسلوب المرن الجذاب المؤثر، فالقصد هو الإصلاح لا غير....

فمن المعلوم أن العالم العامل لا يريد بتوجيهه إلا امتثال أمر الله ورسوله وابتغاء مرضاتهما والسعي في نفع الأمة وتوفير ما يكفل لها التقدم والازدهار، بالتوجيه للعلم والعمل النافعين الواقيين من التبذل والتفسخ من القيم، مع التحذير من إهدار الوقت الثمين فيما لا فائدة فيه ولا يعطي مردودية نافعة دينا ودنيا....

إن المرشدين لما يدعو له الله ورسوله لا يخشون في تأدية رسالتهم الرحمانية أحدا إلا الله. فالمطلوب منهم أن يوجهوا وينصحوا ويعظوا ويأمروا بكل مرونة كل من انزلق عن الجادة المستقيمة يأمرونه بالرجوع إلى الله مستعملين في دعوتهم المثالية كامل اليسر وعدم العسر. "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا كما أنه على الداعية أن لا يكتم حكم الله بل يدعو لما قال الله ورسوله من إشاعة الخير وإصلاح النفوس مبتعدا عن كل ما يثير البلبلة أو يحدث التشنج في النفوس ويحذر كل الحذر من أن يحلل ما حرمه الله أو يحرم ما أحله الله "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحقر أحدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أمرا لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله عز وجل له يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول الله فإياي كنت أحق أن تخشى" من سنن ابن ماجة.

فلا ننزعج من حرية الرأي في إطار التوجيه الديني بل نبتعد من التحامل على الواعظ والموجه والمرشد والداعية ولنستعمل الأدب واللياقة والاحترام مع ثوابتنا أكثر فأكثر ولا ننسى الأدب فيما بيننا في جميع مظاهر حياتنا فالأدب كما قال الحافظ بن حجر رحمه الله هو "استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعبر بعضهم بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل الوقوف مع المستحسنات، وقيل بل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك، وقال بعض العلماء: الأدب كلمة تجمع خصال الخير كلها، فلنتأدب مع أهل العلم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الداعين إلى الله بالتي هي أحسن، الحاملين رسالة المحبة والألفة والسلام إلى جميع الإنسانية، ولا نتنكر لمرجعيتنا الإسلامية المبنية على الرحمة والوسطية وعدم التعصب واحترام الرأي الآخر، فنحن أمة مسلمة في بيعة أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين وسبط النبي الأمين جلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتمكين وأقر عينه بولي عهده سمو الأمير مولاي الحسن وشد أزره بشقيقه سمو الأمير مولاي رشيد وبجميع أفراد أسرته الكريمة إنه سميع مجيب.

وفقنا الله لما يرضيه بفضله وجوده وكرمه.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-18-

نتابع مع القراء الكرام وقفتنا مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في توجيهاته الإسلامية لرجال القضاء بصفة خاصة وهو يعين أحدهم لينوب عنه في ممارسة السلطة القضائية بعيدا عن عاصمة الدولة الإسلامية المدينة المنورة. فيقول له في الرسالة (وإياك والقلق والضجر، والتأذى بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر، فإن من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس).

يقول ابن قيم الجوزية: إن توجيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه للقاضي في هذه الوصية من شأنه أن يحول بينه وبين كمال المعرفة بالحق وتحديد القصد. لأن القلق والغضب والضجر عند مايظهر على وجه القاضي أو في تصرفه مع الخصوم من شأنه أن يبعد عنه نور الضلال والغي وقد نهى رسول الله صلى عليه وسلم أن يقضي القاضي وهو غضبان، سواء كانت أسباب القلق والغضب ناتجة من الخصوم لخروجهم عن آداب التقاضي وخطاب القاضي أو كان الغضب والقلق له أسباب خارجة عن منطقة القضاء، وفي جميع الأحوال يحبب أن ينفذ الوصية النبوية لا يقضي القاضي وهو غضبان، لأن الغضب من شأنه أن يبعده عن الحق والصواب والوصول للعدل المطلوب بل أكثر من ذلك على القاضي أن يصبر عل إيذاء الخصوم أو محاولة إثارة القاضي ليخرج عن الصواب فإن برودة الدم وإذابة كل أنواع الغضب والإثارة وما يتسبب في ذلك كله مطلوب في القاضي وهو يمارس مهامه.

إن القاضي وهو يفصل بين الناس يكون في مقام العبودية لله عز وجل فهو يتعبد الله تعالى بمزاولة المهنة بإخلاص وصدق وصبر. لقد أعطاه الله العلم والفقه وأوصله إلى درجة القضاء والفصل بين الناس وتطبيق أحكام الله عز وجل وهو القائل "وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك" الآية:49 من سورة المائدة، فإن القضاء في مواطن الحق مايوجب الله به الأجر ويحسن به الذخر.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي يتحدث عن البيت الذي ولد فيه الرسول (ﷺ) وعن دار خديجة أم المؤمنين (رضي الله عنها)

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ حدثنا التجيبي فيما سبق عن قبة بالمسجد الحرام التي يوجد بها المصحف العثماني، وهو أحد المصاحف التي كتبت على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويذكر أنه مكتوب بخط الخليفة نفسه حسبما أكده له عدد من الذين التقى بهم بمكة من المواطنين، والمجاورين، ويستدرك بعد ذلك بأن الأديب ابن جبير، ذكر في رحلته أنه رأى هذا المصحف، وتحدث عنه لكنه قال: إنه مكتوب بخط الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، وبعد ذلك يقول:"وفي هذا المصحف الشريف أثر زعفران، وقد جُعل على قوله تعالى : "فسيكفيكهم الله"(البقرة/الآية:137)يقول: وأخبرنا أن في مثل هذا الموضع من مصحف عثمان رضي الله عنه ايضا أثر دم قطر عليه يوم الدار من دم عثمان (رضي الله عنه) والله أعلم.

ومن الجدير بالذكر في هذا الموضوع أن المصحف العثماني، الذي كان بين يدي أمير المؤمنين حين قتل مظلوما رضي الله عنه اهتم علماء المغرب والأندلس بنقل خبره، وملخص: ذلك أنه بعد مقتل عثمان يوم الدار(رضي الله عنه) انتقل إلى بني أمية، فلما قام عليهم بنو العباس، فر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى المغرب، ودخل الأندلس واستطاع جمع كلمة القبائل العربية المتناحرة، حيث جمع كلمتهم عليه، وأصبح أميرا على الأندلس كلها، وكانت شقيقته تبعث إليه بذخائر قومه، ومن جملتها المصحف العثماني، فأوقفه على مسجد قرطبة، وكان الإمام يقرأ فيه بعد صلاة الصبح من كل يوم، إلى أن استولى عبد المومن بن علي الموحدي تلميذ المهدي بن تومرت على الأندلس، وأتحفه أهل قرطبة بالهدية النفيسة : المصحف العثماني، ففرح به فرحا لا مزيد عليه، ونقله إلى مراكش عاصمة ملكه، وتنافس الفنانون في تحلية غلافه وإطاره الخارجي، وفي الصندوف الذي يحمل فيه، وأحيط بصفائح الذهب المرصعة بنفيس الدر والياقوت وأبهى الجواهر والأحجار الكريمة، وكان خلفاء الموحدين يحضرونه بمجالسهم العلمية، وفي ليالي شهر رمضان المعظم، ويحملونه في أسفارهم وحروبهم (×) إلى أن كان من أمره ما كان في عهد الدولة المرينية، وقد اعتنى به السلطان أبو الحسن المريني عناية فائقة، وبعدما أنهى التجيبي الكلام عن المسجد الحرام وما احتواه من الآثار الجليلة، ومن القبب وأماكن العبادة، قام بجولة خارج المسجد الحرام، ويقول: نذكر ما عايناه بمكة المشرفة من الأماكن المباركة المشهورة عدا ماذكر، فمنها البيت الشريف الذي ولد فيه خير البشر، شفيع الخلق في المحشر، سيد ولد آدم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكان عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قد أخذ هذا البيت حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وفيه وفي غيره قال: صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع حين قيل له، أين تنزل يارسول الله، قال: وهل ترك لنا عقيل من ظل؟ فلم يزل هذا البيت بيد عقيل وولده حتى باعوه من محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي، فأدخله في داره التي كانت تعرف بالبيضاء، فلم يزل بها حتى حجت الخيزران، جارية المهدي أم موسى وهارون الخليفتين، فجعلته مسجدا رحمها الله، ونفعها، وأخرجته من الدار المذكورة، وأشرعته في الزقاق الذي في أصل تلك الدار، الذي يقال له زقاق المولد..."

ويذكر التجيبي أنه دخل إلى المنزل الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ولمس المكان الذي نزل فيه صلى الله عليه وسلم، بيديه أي موضع نزوله ساعة ولادته السعيدة المباركة، وصلى فيه، ودعا وتبرك... وفي آخر هذا البيت درج يصعد الناس فيها إلى حجر هناك، قيل له إنه الحجر الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن جبل أبي قبيس، كلمه، وسلم عليه فنقل هذا الحجر من ابي قبيس إلى هذا المكان، أي البيت الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم...

ثم نقل بسنده إلى جابر بن سمرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن.. والحديث في صحيح مسلم بكتاب الفضائل . ومن الأماكن التي زارها رحالتنا منزل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وفيه ولدت أولادها من النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه توفيت رحمها الله ورضي عنها، ومنه هاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة، فأخذه بعده عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه من جملة ماأخذ، ثم اشتراه منه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أيام خلافته، وجعله مسجدا يصلى فيه، وفتح فيه بابا من دار أبي سفيان رضي الله عنه التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن".

يقول التجيبي: "وعاينا بهذه الدار الشريفة قبة يسمونها (قبة الوحي) يذكرون أن الوحي كان ينزل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وبإزاء هذه القبة موضع مكرم يقولون أيضا إن النبي (ﷺ) كان يتهجد فيه، ورأينا أيضا فيها قبة أخرى ذكر لنا أن بها ولدت سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويزعم عوام المكيين الآن، أن بهذه القبة ولد الحسن والحسين عليهما السلام، ورأيت الشيخ الفقيه الأديب الفاضل أبا الحسين بن جبير قد اعتمد هذا القول فذكر في رحلته مانصه: وقبة صغيرة أيضا في الدار المذكورة، فيها كان مولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وفيها أيضا ولدت سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، رضي الله عنهما" وهذا الذي ذكره لم ار أحدا من أهل العلم قاله غيره، وهو خطأ لاشك فيه، والصحيح الذي يعول عليه أن أبا محمد الحسن، وأبا عبد الله الحسين عليهما السلام ولدا بالمدينة بعد الهجرة الكريمة وهذا مالا خلاف فيه بين الأمة، وكان مولد الحسن على الأصح في شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، ومولد الحسين رضي الله عنهما لخمس خلون من شعبان سنة أربع، وقيل ولد لخمس سنين وستة أشهر من الهجرة، وقيل غير ذلك ، والله أعلم".

فالتجيبي رحمه الله يزور هذه الأماكن، وينقل ماقيل عنها، وماهو متداول بين المكيين، وينقد مايرى أنه يجب انتقاده، ويسلم مالايجرؤ على انتقاده، ويقول: والله أعلم، ونراه ينتقد الشيخ الأديب الفاضل ابن جبير الذي سلم بما يقوله عوام المكيين، ويصرح بأنه لم ير أحدا من أهل العلم قاله: وقد ترجم ابن حجر في الاصابة للحسن والحسين رضي الله عنهما، وأكد على أنهما ولدا بالمدينة المنورة، وقال : قال جعفر بن محمد لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طهرٌ واحدٌ.

والتجيبي عودنا على تصحيح مايجب أن يصحح، ونراه من حين لآخر ينقل عن ابن جبير تصديقا واستشهادا، أو انتقادا وتصحيحا...

وبعد ذلك يزور التجيبي دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأطال الكلام عن الحجر الموضوع بجدار قرب هذه الدار، يقال: إنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم.

وزار عند الصفا دار الخيزران التي كانت من قبل للأرقم ابن أبي الأرقم، استتر فيها النبي صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام. هو ومن أسلممن الصحابة السابقين إلى الإسلام في بداية الدعوة.

وبعد ذلك يحدثنا عن المعلى . مقبرة مكة . وتعرض لقصة إسلام ركانة المصارع الذي لايغلب، وهو ركانة بن يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى الإسلام فأبي وقال لو أعلم ماتقول حق لأجبتك، فقال له صلى الله عليه وسلم،أفرأيت إن صرعتك؟ تعلم أن ماأقوله حق؟قال: نعم، قال فقم حتى أصارعك، قال: فقام ركانه إليه يصارعه، فصارعه، فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأضجعه لايملك من نفسه شيئا، ثم قال عد يامحمد، فعاد فصرعه، قال: فقال: يامحمد والله إن ذا للعجب؟!أتصرعني؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعجب من ذلك إن شئت أريك إن اتقيت الله واتبعت أمري قال: ماهو؟قال: أدعو لك هذه الشجرة التي تريد فتأتيني، قال: ادعها، فدعاها فأقبلت، حتى وقفت بين يدي رسول الله (ﷺ)قال: فقال لها: ارجعي إلى مكانك، قال فرجعت إلى مكانها، قال: فذهب ركانة إلى قومه فقال: يابني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله مارأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى، والذي صنع به" قال التجيبي: ثم أسلم ركانة بعد ذلك، وهو من مسلمة الفتح، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لكل دين خلفاء"الحديث.

. ومصارعة النبي صلى الله عليه وسلم لركانة واردة في كتب السيرة وغيرها وألف السيوطي رسالة في هذا الموضوع، وسماها: "المسارعة إلى المصارعة"وتحدث فيها عن عناية الرسول (ﷺ) بالرياضة الجسمية، ثم يقول التجيبي ولابنه يزيد بن ركانة صحبه أيضا، وروى عن يزيد بن ركانة ابنه علي، وكان علي هذا قد أعطي من الأيد والقوة مالم يعط أحد، نزع في ذلك إلى جده ركانة رضي الله عنه، وله في ذلك أخبار، منها خبره مع يزيد بن معاوية، وكان يزيد من أشد العرب فصارعه يوما، فصرعه علي صرعة لم يسمع بمثلها، ثم حمله بعد ذلك معاوية على فرس جموح لايطاق، فعلم علي مايراد به، فلما جمع به الفرس ضم عليه فخذيه ضمة نفق منها الفرس . مات . وذكر عنه أنه تأبط رجلين أبدنين ثم جرى بهما وهما تحت إبطيه، حتى صاحا: الموت، الموت فاطلقهما...

وهكذا يتحف التجيبي قارئ رحلته باستطرادات لطيفة ومفيدة، وسبب هذا الاستطراد المفيد أن المصارعة مع ركانة كانت بالمعلى التي سيعود لاتمام الحديث عنها بعد ذلك.

(تتمة ص:1)

ثم يوصي سيدنا عمر القاضي بأن يكون واحدا من شخصين إما أن يكون منبعا للخير، ومصدرا للحق وفي هذه الحالة عليه أن يخلص النية والقصد، ويتحمل كل الشدائد والمتاعب فإذا اعتمد هذا الخلق كفاه الله مابينه وبين الناس، وأبعد عنه وأبعده عن قضاء الشر والسوء وهيأه لكل ما هو جميل، بل وجعله ممن يعبدون الله بمزاولة مهامهم القضائية.

وإذا كان القاضي من الذين يتزينون بما ليس فيهم، ويلبسون ثياب الباطل وإبعاد الحق عن أهله ومصادرته والتصرف فيه بالشهوات وجعل النصب وسيلة للاستغناء والهوى فإن النتيجة التي أخبر سيدنا عمر بها في رسالته أن الله يشينه ويظهر عبوديته للناس وللمال وللجاه والسلطة، ويوكله إلى هذه السلبيات، وروي عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت (من أسخط الناس برضا الله عزوجل، كفاه الله الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس".

هذه مجموعة من التوجيهات الإسلامية التي خصت الرسالة بها القاضي وهو يفصل بين الناس في أمور دنياهم ويطبق أحكام الله عليهم فمن اهتدى بها أعطاه الله عاجل الرزق وفرائس الرحمة، وجعل ثوابه عنده، وسجله مع الصالحين من عباده في الدنيا والآخرة ومن قضاة الجنة الذين يعرفون الحق ويحكمون به، ومعهم نقرأ قول الله تعالى "وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين" الآية :122 من سورة النمل وفي العدد المقبل إن شاء الله نقف مع التوجيهات المتعلقة بالأطراف وهم الخصوم بعدما رأينا توجيهات تخص السلطة القضائية كهيئة عامة وتوجهات تخص القضاة كأفراد يتداولون السلطة وكيف يتصرفون فيها،فإلى ذلك الحين ندعو الله أن يوفقنا جميعا للعدل في القول والعمل إنه على ما يشاء قدير.

الوثاق

تقييد في متولي القضاء والفتوى والشهادة

للشيخ العلامة خاتمة المحققين أبي عبد الله سيدي محمد بن المرحوم سيدي المدني كنون رحمه الله (ت فاتح ذي الحجة 1302 هـ)

■ الأستاذ ،إدريس كـــرم

...

■■■

... ومن قواعد القرآن كما للسيوطي في الاتقان أفراد سبيل الحق وجمع سبيل الباطل، لأن طريق الحق واحدة، وطرق الباطل متعددة هـ، وكذا يقال في قول ابن الخطيب والحق يعلوا، والأباطل تسفل، والله عن أحكامه لا يسأل، وقال في المدخل، ينبغي للعالم إذا جاءته الفتوى أن يسأل عمن وقعت له حتى يسمع ذلك من لفظه، إن كان حاضرا، أو يسهل حضوره، ويتثبت في فهم الألفاظ التي سمعها منه، لأن الورقة قد يكتب فيها غير ذلك، فيفتي على وهم أو غلط، وفي ذلك من الخطا ما فيه، وإن كان جوابه صوابا على ما رآه مكتوبا فإن تعذر حضور من وقعت له النازلة فشأن العالم أن يتثبت جهده، وأن يأمر من أتى بالفتوى أن يعاود صاحب الواقعة أن تفسر ذلك عليه كما مر، والمقصود والمطلوب أن لا يفتي إلا بعد التحرز الكلي والتحفظ العظيم، حتى يتبين له وجه الصواب في ذلك، وينشرح صدره له، ثم بعد انشراح صدره لذلك والوقوف على حقيقة أمر الفتوى، لا يعجل بالكتابة عليها، بل يوخر ذلك إلى وقت الدرس، فيعرض المسألة على من حضره من الفقهاء، ويرى رأيه ورأيهم فيها، ثم بعد ذلك ينظر، فإن وافق ما عنده ما قالوه فيها ونعمت، وإن خالفه بحث معهم في ذلك وأبدى لهم ما يريد أن يفتي به في المسألة، فإذا فرغ من البحث في ذلك كتب عليها بما يتحقق أنه الصواب عنده.

•••

وليحذر من العجلة في ذلك، لأنه إنما يتكلم أو يفتي بما تحقق أو غلب على ظنه، وان ذلك حكم الله تعالى في المسألة، فإن الغلط في ذلك قل أن يستدرك، ثم قال وقد كان سيدي الشيخ الجليل أبو الحسن المعروف بالزيات رحمه الله تعالى، إذا جاءته الفتوى يقول لمن أتى بها ما يمكنني أن أفتي عليها، لأن الخط قد يزداد أو ينقص فيقع مخالفا لما المسألة عليه، فلا يفتي حتى يحضر صاحب النازلة فإذا حضر سأله عما وقع له فيخبره به، فيقول له إذا كان من الغد يحضر الجواب إن شاء الله تعالى، فإذا جاء من الغد يسأله الجواب يقول له الشيخ أعد على المسألة، فإذا أعادها عليه فإن كانت موافقة لما قال بالأمس بحث فيها مع من حضره ثم أفتاه أو كتب له عليها، وإن خالف ما قاله بالأمس قال له الشيخ، أيما هو الحق الذي بالأمس أو الذي باليوم، فيردها ولا يفتي له فيها بشيء، ويقول له لا أعلم الحق بذلك حتى أفتي عليها،

•••

هكذا هو حال العلماء في التحرز على ذممهم إلا أن تكون المسألة مشهورة معروفة لا تحتاج إلى بحث ولا تطويل نظر فلا بأس بالجواب عنها في الوقت، والله الموفق للسداد بمنه هـ منه بلفظه.

•••

ومن مارس كتب النوازل أدنى ممارسة تحقق من أحوالهم رضي الله عنهم بالبداهة، فإن ما أشد احتياطهم لدينهم واحتبالهم به، وما أشد احتياطنا لدنيانا واحتبالنا بها فإنا لله وإنا إليه راجعون.

•••

الفائدة الثالثة نقل العلامة سيدي محمد بن الحسن بناني في الفتح الرباني عن الشيخ المسناوي رحمهما الله تعالى عند قول أبي الضياء خليل في قوادح الشهادة وتلقين خصم سلمون والحطاب والزرقاني وطالع الاماني عند قول الشيخ خليل وقبول هدية ولو كافأ عليها الا من قريب.

•••

الفائدة الخامسة وجدت بخط العلامة سيدي محمد بن الحسن بناني صاحب الفتح الرباني ما نصه

شرط الذي يمكن أن يستفتي
ويقتدي بفعله إن أفتى
دين قويم وتقى مشتهر
وفقه ذهن هذبته الفكر

وفي الحطاب عن ابن عرفة ما نصه: وأما شرط الفتوى ففيها لا ينبغي لطالب العلم أن يفتي حتى يراه الناس أهلا للفتوى، قال سحنون الناس هنا العلماء، قال ابن هرمز ويرى نفسه هو أهلا لذلك قال القرافي اثر هذا الكلام، وما أفتى مالك حتى أجازه أربعون محنكا، لأن الحنك وهو اللثام تحت الحنك من شعار العلماء وهذا شأن الفتيا في الزمن المتقدم، وأما اليوم فقد أحرق هذا الساج، وهان الناس أمر دينهم، فاحدثوا فيه بما يصلح وما لا يصلح، وعسر عليهم اعترافهم بجهلهم، وأن يقول احدهم لا أدري فلا حرج، ءال الحال بالناس الى هذه الغاية بالاقتداء بالجهل والمتجرءين على دين الله تعالى هـ منه.

•••

وفي ابن سلمون سئل ابن رشد في الفتوى وصفة المفتي، فقال الذي أقول به في ذلك أن الجماعة التي تنسب الى العلوم وتتميز عن جملة العوام بالمحفوظ والمعلوم والمفهوم، وتنقسم على ثلاث طوائف، طائفة منهم اعتقدت صحة مذهب مالك، تقليدا بغير دليل، فأخذت انفسها بمجرد حفظ أقواله، وأقوال أصحابه في مسائل الفقه دون التفقه في معانيها بتمييز الصحيح منها من السقيم، ثم ذكر الطائفتين الباقيتين، ثم قال: فأما الطائفة الأولى فلا يصح لها الفتوى بما علمته وحفظته من قول مالك وقول واحد من أصحابه، إذ لا علم عندها بصحة شيء من ذلك، إذ لا تصح الفتوى بمجرد التقليد من غير علم، ويصح لها في خاصتها إن لم يجد لها أن تستفتيه ان تقلد مالك أو غيره من أصحابه فيما حفظته من أقوالهم، وأن تعلم من نزلت به نازلة بما حفظته فيها من قول مالك وقول غيره من أصحابه، فيجوز للذي نزلت به النازلة أن يقلده فيما، حكاه له من قول مالك في نازلته ويقلد مالكا في الأخذ بقوله فيها، وذلك أيضا إذا لم يجد في عصره من يستفتيه في نازلته، فيقلده فيها، وإن كانت النازلة قد علم فيها اختلاف من قول مالك وغيره، فاعلمه بذلك كان حكمه في ذلك حكم العامي، إذا استفتى العلماء أي المجتهدين في نازلته فاختلفوا عليه فيها، وقد اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال، أحدها أن يأخذ بما شاء من ذلك والثاني أنه يجتهد في ذلك، فيأخذ بقول أعلمهم والثالث أنه يأخذ بأغلظ الاقوال ثم ذكر حكم الطائفتين الباقيتين، ثم قال وقد أتى ما ذكرنا على ما سألت عنه من بيان صفات المفتي التي يلزم أن يكون عليها في هذا العصر، إذ لا تختلف صفات المفتي التي يلزم أن يكون عليها باختلاف الأعصر.

يتبع/...

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله سريع الحساب ، المان بإلهام الصواب، والصلاة والسلام على أفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه الأتقياء الإنجاب، عدد خلق الله بدوام الله رب الأرباب،
وبعد فقد ورد العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فسلوا رحمكم الله، فإنه يوجر فيه أربعة، السائل، والمعلم، والمستمع، والمحب لهم، وورد ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدي، أو يرده عن ردى، وإني لمعترف بقصر باعي، وقلة اطلاعي، فبالله عليكم هل تعلمون فيمن تقدم أو تاخر، ومن يعتبر لفتواه أو لا يعتبر، من كان يتعاطى فصل النوازل مع الإفتاء فيها، ولا أظن أحدا الا يكون عن ذلك نزيها بل الذي يظهر لعقلي القاصر، وفهمي الفاتر، أنه لو أجمع على جواز ذلك فيما تقدم من الاعصار الكثيرة الصدق والإنصاف والزهد والتجرد والانوار لم يجوزه اليوم أحد من أولى الابصار، لضد المذكورات وغير ذلك من الأشرار، كنصب حبائل الرشى والمداهنة والأضرار، كما لا يخفى على أولى الانظار حتى قال في المدخل عن صاحب كتاب الأنوار، إنا لله وإنا إليه راجعون على موت الأخيار، والبقاء مع قوم لا يستحيون من فضيحة ولا عار هـ
انشد لبعض الأدباء الأبرار:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * * * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم * * * بعضا ليدفع معور عن معور
ابني ان من الرجال بهيمة * * * في صورة الرجل السميع المبصر
فظن بكل مصيبة في مال * * * فإذا اصيب بدينه لم يشعر
فسل اللبيب تكن لبيبا مثله * * * من يسع في علم باب يظفر

الحلقة الرابعة

ما نصه: من هذا ما يفعله المفتون اليوم لأن الإفتاء إنما كان في الصدر الأول لأحد أمرين إذا توقف القاضي في الحكم أو سجل الحكم، إلا أنه خيف أن يكون حكمه لم يصادف محلا فياتون بالحكم مكتوبا للمفتي، وأما الآن فلا تراهم يشرعون في الخصام إلا بعد الاستفتاء ليظهر هل الحق له، أو عليه فيحتال على إبطاله، وترى المفتي الواحد يكتب لكل واحد من الخصمين نقيض ما كتب للآخر في نازلة واحدة نسأل الله أن يصلح أمورنا هـ بلفظه وهو في غاية الوضوح وقد نقله التسولي في حاشية الزقاقية، وفي شرح التحفة مختصرا، وقال عقبه ما نصه وهو صحيح واقع في هذا الزمان كثيرا فينبغي لمن احتاط على دينه أن لا يفتي لمن علم أن قصده التحليل هـ، قلنا وكلهم اليوم ذلك الرجل، فلذلك اطلق في كلامه المسناوي الجليل، وقبله بناني الحفيل والناموسة لا تكسر عظم الفيل، وقوله فينبغي صوابه فيجب كما هو ظاهر والله اعلم.

•••

وقوله في شرح التحفة على قول المسناوي، أو سجل الحكم لخ انه مبني على أن الأعذار لا يكون إلا بعد الحكم، والمشهور انه قبله لخ غفلة واضحة إذ كلام المسناوي نص في أن مراده الأعذار في الحكم نفسه بعد انبرامه، وقد وقعت الفتوى من الشيوخ بأنه يلزم القاضي إعطاء نسخة من حكمه كما تقرر في محله والله أعلم.

•••

وقوله فيه عن ابن العربي المصلحة ان تكون الفتوى مرسلة لخ صحيح في نفسه، لكن لأهلها ممن توفرت فيه شروطها كما ياتي وكذا لك قوله ان كان القضاة مولون بالجاه لا بالمرجحات الشرعية، فإنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صحيح أيضا، لكن في حق من توفرت فيه شروطها وشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا كان فيه غسل دم بصديد، على أن ذلك كله مخالف لما ذكره، بعد عن المازري من ان المفتي إنما يقيمه أهل الحل والربط، وهم الفقهاء هـ.

•••

وهذا هو الظاهر بل المتعين لأن الفتوى كالقضاء من المناصب الدينية فكيف ينتصب لها من شاء، وأما قوله قد انتهى الأمر، في زماننا هذا وقبله بسنين إلى قطعها بالكلية موافقة لأغراض جهلة القضاة، ويعللون ذلك بأن في إرسالها تشويشا عليهم في الأحكام، وماذلك إلا ليتوصلوا لأغراضهم الفاسدة من تمام الرياسة وإلا فالمفتي إن صادف الصواب بفتواه وإلا الغيت وطرحت، فأي تشويش فيها لخ ففيه نظر ظاهر بل التشويش فيها والتشعيب أوضح من نار على علم، مع ما في إرسالها من التلقين الممنوع كما مر والتعريش لأن يتعاطاها من ليس لها باهل والتسليط على أكل أموال الناس بالباطل وعلى التقول على الأيمة وغير ذلك من المفاسد الظاهرة وقد قال أبو حفص الفاسي إن مفسدة قياس المقلد الذي لا إحاطة له بأصول مذهب مقلده وقواعده أشد من مفسدة تعطيل، إذ كيف يقيس من لا يعرف القياس ولا يعرف أصول مذهبه هذا.

•••

وقد نقل التسولي نفسه عن اختصار الونشريسي للبرزلي أنه لا يجوز للقاضي إقامته للمفتي ليستفتيه، وإنما يقيمه أهل الحل والربط، وهم الفقهاء قاله المازري هـ، وهو نص في وجوب تحجيرها على من لم يقمه أهل الحل والربط، فقطع القضاة لها إنما هو على الفضولي سيما ليس من أهلها، وهو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الواجب عليهم، فجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرا.

•••

الفائدة الرابعة قد حكى المازري الإجماع على تحريم أخذ المفتي والقاضي الأجرة على نفس الفتوى والقضاء إلا أن كان من حبس أو بيت مال مستقيم، وأما أخذها على كتب الفتوى أو الحكم فممنوع أيضا، إن أخذ أكثر من معتاد عمله، وكاغده ان كان من عنده، وإن أخذ قدر ذلك فغير ممنوع لكنه مرجوع صيانة للدين والعرض، ويتأكد اجتنابه على الورع لأن الراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه،

هذا الذي تهدي إليه نصوص أيمة المذهب هـ قاله بعض الشيوخ وانظر التبصرة وابن

الحديث السابع والمائة: من أجل بناء أسرة سعيدة(1)

في ظلال الحديث:

نص الحديث:

عن أبي حاتم المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد" قالوا يارسول الله، وإن كان فيه، قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ثلاث مرات".

تخريج الحديث

أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، (ج3/ص395/ح1085)وابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، (ج1/ص633/ح1085)وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب الاكفاء، (ج1/ص633/ح1967). والحاكم في مستدركه (ج2/ص179/ح2695) والطبراني في معجمه الكبير (ج22/ص300/ح762)وابن عمرو الشيباني في الأحاد والمثاني (ج2/ص352/ح1122) والبيهقي في سننه الكبرى (ج7/ص83/ح13259)والطبراني في معجمه الأوسط (ج1/ص142/ح446)، (ج7/ص131/ح7074).

درجة الحديث

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب وأبو حاتم المزني له صحبة ولانعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث، في سنده عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف، إلا أنه قد تأيد بحديث أبي هريرة (ج3/ص395/ح1084)وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

سند الحديث:

هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حدثنا محمد بن عمرو السواق البلخي حدثنا حاتم بن اسماعيل عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن محمد وسعيد ابني عبيد عن أبي حاتم المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا محمد بن عمرو السواق البلخي: هو أبو عبد الله محمد بن عمرو السواق ويقال السويقي البلخي، من كبار تبع الأتباع، قال أبو زرعة الرازي كان شيخا صالحا وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة 236.

حدثنا حاتم بن اسماعيل: هو أبو اسماعيل حاتم بن إسماعيل الكوفي سكن المدينة، وبها مات في خلافة هارون الرشيد، يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة (187)، قال أحمد بن حنبل: حاتم بن إسماعيل أحب إلي من الدراوري، زعموا أن حاتما كان فيه غفلة إلا أن كتابه صالح وقال أبو حاتم هو أحب إلي من سعيد بن سالم، وقال النسائي ليس به بأس، وقال محمد بن سعد: كان أصله من الكوفة ولكنه انتقل إلى المدينة فنزلها ومات بها وكان ثقة مأمونا كثير الحديث روى له الجماعة.

عن عبد الله بن مسلم بن هرمز: هو عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي الفدكي، قال عبد الله بن أحمد قال سمعت أبي يقول: عبد الله بن مسلم بن هرمز يحدث عن الثوري ضعيف ليس بشيء، وقال يحيى عبد الله بن مسلم بن هرمز مكي ضعيف، وكذا قال النسائي وقال أبو حاتم ليس بقوي يكتب حديثه روى له البخاري في الأدب وابن ماجة، وقال ابن حبان كان يروي عن الثقات ما لايشبه حديث الإثبات فيحب تنكب روايته وقال ابن عدي له أحاديث ليست بالكثرة ومقدار ما يرويه لايتابع عليه.

عن محمد وسعيد ابني عبيد: هما محمد وسعيد بن عبيد أخوان، روى لهما أبو داود في المراسيل والترمذي حديثا واحدا هو الذي بين أيدينا، وقال القطان والذهبي عنهما أنهما مجهولين.

عن أبي حاتم المزني: هو أبو حاتم عقيل بن مقرن، أقام بالحجاز، ذهب صاحب التقريب أن لا صحبة له، لكن الصواب هو أنه له صحبة كما جاء في تحفة الأحوذي، ولم أعثر عما كتب عن حياته الشيء الكثير.

أهمية الحديث

هذا حديث عظيم، ما أحوج الأمة إليه اليوم أكثر من أي وقت مضى، خصوصا والأسرة تتعرض لهجمات تلو الهجمات، من طرف الإباحيين اللادينيين الذين يريدون تخريب هذا الكيان العظيم، وتأتي أهمية هذا الحديث في كونه يضع للفتيان المقبلات على الزواج وأولياء أمورهن الصفات الأساسية التي يجب أن تتوفر في الخاطب لضمان حياة أسرية سعيدة.

المعنى العام

تقديم: إن الزواج سنة من سنن الله في الحياة ماضية في خلقه إلى قيام الساعة، ولقد أراد الله عز وجل لعباده النكاح ورغب فيه، وكره السفاح وحذر منه، فاستمرار سعادة الإنسانية رهين باستمرار الأسرة، فإذا سادت العلاقات غير الشرعية بين بني البشر، انقطعت الأنساب، وخرب كيان البشرية... ولذا نجد الإسلام في غير ما موضع يتحدث عن المسؤولية المشتركة بين الرجال والنساء في وجوب اختيار الشريك الذي يكون بمقدوره تحقيق السعادة لشريكه، ويحدد الشرع الحنيف لهذا الاختيار معايير جوهرية، وفي هذا الصدد يأتي استظلالنا بهذا الحديث العظيم، الذي وجب على الأمة أفرادا وجماعات، ودولا وحكومات تدارسه وتفهيمه للناس ليسترشدوا به، ويخرجوا من هذا النفق المظلم، ويتخطوا هذه العقبات الجسام التي وضعت بتخطيط وفعل فاعل في وجه بناء الأسرة السعيدة، فبين الشروط التعجيزية وغلاء في المهور، يضيع الشباب ويتحولون من باحثين عن الحلال إلى منغمسين في الحرام، وسنخص بالحديث في هذه الحلقة بإذن الله تعالى الآباء وأولياء أمور الفتيات المقبلات على الزواج، وسنتطرق لموضوع هام وشائك، ألا وهو كيفية وآداب استقبال الخاطب، وأهم من ذلك كله التذكير بالشروط الأساسية التي يجب توفرها في الخاطب.

ومن ناحية أخرى نذكر الآباء. حفظهم الله. أنه إذا بلغت الفتاة مبلغ الزواج طرق بابهم خطاب لها، وهناك مسؤولية عظيمة لأن في التفريط فيها وفي عدم الاهتمام بها هدم لحياتها وإدخال الشناعة والآلام على هذه البنت المسكينة التي كان الوالد سببا وكان مسؤولا أولا أو أوليا في كونه جلب على ابنته شرا مستطيرا، حيث باشتراطه شروطا تعجيزية على الخاطب، أو عدم قبول استقباله... يكون قد حرمها من أعظم واجل ما تتمناه كل بنت... ألا وهو زوج كريم وبيت سعيد وذرية صالحة...

1. اختيار الزوج

بعض الناس إذا تقدم الخطاب إلى بيته أصم أذنيه وأغلق عينيه إلا عن قريب له كائنا من كان صالحا أو طالحا تقيا أو شقيا وهذا والله من أعظم الظلم في حق كريمته وقرة عينه، فيصر على امتناعه ويجعل ابنته وقفا على ابن عم لها أو على قريب لها، أو صاحب جاه أو منصب معين، قد وضع في ذهنه منذ أن خلقت أن هذه لفلان أو أن فلانا لفلانة، ونقول له: إن كان الشاب صالحا فشكر الله حرصك لأنك تريد أن الخيرين لابنتك، أما إذا نظرت لقضية القرابة، والجاه والمنصب... بغض النظر عن الصلاح فهذا ظلم لك ولها، ولذا نجد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الذي بين أيدينا: "إذا جاءكم (وفي رواية إذا أتاكم) ممن ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. أو فساد عريض" وكم من الفساد قد حصل في البيوت وكم من أسر قد حل رباطها بعد يوم أو يومين من الزواج والسبب الوالد الذي جنى على ابنته باختيار رجل لم يرع فيه إلاً ولا ذمة أو لم يرع فيه صفات الصلاح من غيرها.

اختيار الخاطب مسؤولية الوالدين، وهي لاتقل أهمية عن مسؤولية تربية الأبناء ليكونوا بإذن الله تعالى مصلحين، وتعالوا بنا نقوم بمقارنة أراها عجيبة، فبعض الآباء إذا طلبت منه ابنته شيئا كيفما كان سعى لإرضائها ولو أدى الأمر لأن يقترض مالا من اجل ذلك، أو يستعين بالعارفين والمختصين في ذلك المجال، مع العلم أن ذلك الأمر قد لا تتوقف عليه الحياة، ولا يكون سببا رئيسيا في سعادة عند توفره أو شقاء عند غيابه، لكن أمر الزواج الذي يعتبر أصعب قرار يتخذه الأبوان أو من تحمل المسؤولية في اختيار الزوج للبنت لايستدعي أن تعقد له على الأقل جلسة حوار ومناقشة، لمعرفة رأي الفتاة أولا لأن الأمر يعنيها بالدرجة الأولى والأخيرة، ولا مع أمها، أو بعض العارفين في أمور الزواج والأسر لمعرفة المرتكزات الأساسية التي يجب توفرها لإسعاد بنته فلذة كبده...

أليس من التناقض أليس من الخزي والخذلان أن ترى والدا يهتم بأمر فرعي في حياة ابنته، ويهمل أمرا جذريا أصليا تنبني عليه حياتها، وسعادتها.

أيها الوالد الكريم. حفظك الله وسدد رأيك. اتهتم بشراء سلعة لها وتستشيرها وتخيرها وترجع مرات وكرات وقد تترك وليمة دعيت إليها بل قد تضطر إلى أن تخرج من وظيفتك إذا دعت حاجتها الماسة إلى ذلك. هذه الغيرة وهذا الحب وهذه الشفقة نفقدها أو تتلاشى كلها أو يتلاشى أغلبها عند اختيار الخاطب الذي سيكون شريكا لها طول حياتها... اتهتم بأمر يدوم نفعه ساعة أو ساعتين، أو يوما أو يومين، أو شهرا أو شهرين، وتهمل أمرا مدة نفعه أو ضره الحياة كلها، بل. عفوا. يستمر نفعه أو ضرره إلى يوم القيامة؟

من العرف والمعتاد عند عدد لايستهان به من الأسر أنه إذا تقدم خاطب لايرضاه الوالد رده ولا كرامة له، ولو كان قد أعجب ابنته ورضيته زوجا لنفسها (وهنا لا أتحدث عن الفتيات غير المتخلقات اللواتي يتحدين مشاعر الآباء والأمهات والعائلة بأكملها بحجة حرية اختيار الزوج، بل كلامي ينصب على جانب معين، وهو عندما يتقدم شاب صالح ترضاه البنت، ولذا وجب التنبيه) وقد يتقدم خاطب يرضاه لكنها لاترضاه وهنا بيت القصيد ومحط الراكب وهذا الشاهد من الكلام فيقال لهذا الأب الكريم: اعلم حفظك الله أن ذلك الخاطب الذي تقدم، تقدم ليخطبها هي، تقدم لأنك إن وافقت عاش معها على أحر من الجمر أو على أحلى من التمر تقدم لها يطلب يدها وبكلمة منك أنت أيها الوالد قد تهدم حياتها ومستقبلها وقد حصل والله، لقد حصل ولقد سمع الكثير كلاما يندى له الجبين ولقد شاهدوا أسرا يتفكك رباطها، ويتحطم بناؤها، ورجعت البنت تجر أذيال الخيبة والندامة بعد أن صدمت بزوج كان الوالد هو المسؤول الأول والأخير عن هذه المصيبة التي حلت على رأسها، إذا علمت هذا أيها الوالد فاعلم أن هذا لايجوز وأنك آثم عند الله لأن لها حقا في أن تستشيرها، وتأخذ برأيها، فهي المعنية بالأمر،نعم غيرتك عليها، وحبك لها، يجعلك تحاول قدر الإمكان أن تضمن لها الاستقرار والسعادة، لكن اعلم أنها هي المعنية أولا... فإذا تقدم إليك من ترضى دينه وترضى خلقه.فبادر إليه فزوجه ولاتقل أنه فقير، أو وظيفته صغيرة، أو أنه لايملك دارا ولا سيارة ولارصيدا في البنك... وغير ذلك من الأعذار.

ينبغي لك أن تحرص عليه حتى ولو ساعدته بمالك، ولو أنفقت عليه وعلى زوجته وقتا ما وأنت تستطيع ذلك. فمتى تجد الرجل الطيب؟ فإذا وجدته فسارع ولو أنفقت عليه من مالك ولو ساعدته من طريق خفية على حفل الزفاف والمهمر حتى يتقدم إليك.

كل هذا مما تؤجر عليه، وهو من النصيحة لبناتك ومن النصيحة لله ولعباده أيضا. وكذلك على الأم المبادرة والموافقة للأب.

فبعض النساء تكون عثرة في الطريق فتقول: بأن الخاطب فيه كذا وفيه كذا. فتعارض الزوج وتأبى عليه أو يوافق، فينبغي للأم أن تكون عونا للزوج على تزويج الأكفاء والأخيار. ولو كانوا قليلي المال.

والله ولي التوفيق والسداد وللحديث بقية.

حديث المنابر

البراءة من الشرك من خلال سورة الكافرون

■ إعداد الاستاذ: محمد المهدي بوزيد

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له من علمها شعر برعاية الله له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله أشد الناس فرارا من غضب الله، وأكثر العباد تمسكا بطاعة رب العباد. حتى ولو وضعت الشمس عن يمينه والقمر عن يساره، صلى الله وسلم وبارك على حبيبنا المصطفى رسول الله محمد المختار وعلى الأطهار وأصحابه الأبرار وكل من تبعهم إلى يوم جمع الناس في دار القرار.

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون

لقد حسم الإسلام على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بآيات القرآن العظيم قضية الإسلام والكفر بعد أن أوضح الله تعالى الأدلة الدالة على صحة الإعتقاد: من توحيد الله، والتصديق بأنبيائه ورسله وبكتبه وملائكته واليوم الآخر. فلم يبق بعدئذ مجال الوثنية والشرك.

وجاءت سورة "الكافرون" المكية مبرئة من الشرك والكفر، ومن عمل المشركين والكفار، وآمرة بإخلاص العبادة لله تعالى فقال سبحانه: (قل يأيها الكافرون، لاأعبد ماتعبدون، ولاأنتم عابدون ماأعبد، ولا أنا عابد ماعبدتم، ولاأنتم عابدون ماأعبد لكم دينكم ولي دين)الكافرون.

سبب نزول هذه السورة: ماأخرجه الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ماأراد من النساء فقالوا هذا لك يامحمد وتكف عن شتم آلهتنا ولاتذكرها بسوء، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلاهك سنة. فأنزل الله تعالى هذه السورة بكاملها كما نزلت آية أخرى في سورة الزمز (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون).

أيها المؤمنون: إن هذا التصور الذي كان عند المشركين هو ناتج عن اختلاط في فهمهم لواقع الأمر لأنهم كما حكى عنهم القرآن الكريم في كثير من الآيات أنهم كانوا يعترفون بخلق الله للسماوات والأرض، وتسخيره سبحانه للشمس والقمر، وإنزاله الماء من السماء (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) العنكبوت، فلعل هذا الفهم كان يشعرهم أن المسافة بينهم وبين رسول الله قريبة، يمكن التفاهم عليها بالالتقاء في منتصف الطريق ولهذا ولحسم هذه الشبهة وقطع الطريق على كل المحاولات للتفاوض في مجال العقيدة والدين الملتزم به نزلت هذه السورة (الكافرون) بهذا الجزم، وبهذا التوكيد، وبهذا التكرار لتنهي كل قول وتقطع كل مساومة، وتفرق نهائيا بين التوحيد والكفر، والشرك، وتقيم المعالم الواضحة ولذلك جاء في آخرها إجمالا لحقيقة الفصل الذي لا التقاء فيه، والاختلاف الذي لاتشابه فيه، والتمييز الذي لااختلاط. قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) وهذه المفاصلة . أيها المومنون. بهذا الوضوح هي التي يجب أن يتشبع بها قلب وروح كل مؤمن ويرفعها شعارا له لاتسقط حتى يلقى الله بها، ومعناه أن المؤمن الحق يجب أن يشعر بالإنعزال التام عن الكفر وما يقرب له تصورا ومنهجا وعملا، الانعزال الذي لايسمح بالالتقاء في منتصف الطريق، والإنفصال الذي يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الكفر من كفرهم إلى الإسلام. فإن الكفر كفر وإن الإسلام إسلام، والفارق بينهما بعيد والسبيل هو الإنسلاخ من الكفر والجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه. لأن الإسلام كان ومازال معقودا بالتمسك بما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما جعل الحق سبحانه وتعالى رسالة الإسلام رسالة خاتمة تامة ليس لأحد أن يستدرك عليها أو أن يزيد فيها أو أن ينقص منها. وعلى المؤمن بالله واليوم الآخر إن كان حاكما أن يرعى حدود الله لتنفذ هذه الرسالة كما أراد الله، وإن كان محكوما فعليه أن يطبق منهاج الله المأمور به، ولذلك فقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته على الإلتزام بالسنة ونهى عن الإحداث في الدين والإبتداع فيه بما ليس منه. وذلك من خلال أحاديث كثيرة صحت عنه صلى الله عليه وسلم نذكر منها مارواه الإمام الترمذي وأبو داود في السنن: عن أبي نجيح العرباض ابن سارية رضي الله عنه قال: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: (أوصكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فأطيعوه، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلاف فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن ذلك بدعة، وكل بدعة ضلالة)ثم جاء في حديث آخر: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله) فعلينا . أيها الإخوان الكرام . بالتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزوم طريقته، فإن ميولنا عنها بسببه تشتت شملنا. علينا بالإقتداء بأثر السنة والدفاع عن ديننا وعن نبينا، ولنحذر أمورا كثيرة لأن عددا هائلا من الكبائر المعلنة كان سببها أن المسلمين ظاهروا أهل الأهواء واتبعوهم إلى درجة أنه في زمننا هذا إذا دعا أحد إلى الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله عارضه القوم وربما أهانوه لأنه متخلف عن مقتضيات العصر.

أيها المومنون: إن مايجب أن ينتبه إليه هو كلام الله تعالى الذي نقرأه ونمر عليه في كتاب الله العزيز مر الكرام ونحن لاناتفت للمعاني الكبرى التي تمسنا في كياننا كما يقول الله تعالى في سورة الأنعام (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون129)ومعناه أن الله تعالى لايؤخر كل القضايا إلى الآخرة لأنه لو حدث تأخير ذلك لعاث الذين لايؤمنون باليوم الآخر في الأرض فسادا، ولتشكك كثير من الناس من منهج الله وهكذا فإننا نرى الظالمين الذين يفسدون في الأرض بظلمهم وطغيانهم يسلط الله الظالمين مثلهم ممن نزعت من قلوبهم الشفقة والرحمة، وكذلك يؤدب الله الظالمين بعضهم ببعض. إذن فكل ظالم على أرض الله عليه أن ينتظر تعذيبه بنفس الوسائل التي استجلبها ليعذب بها الناس.

الخطبة الثانية:

الموضوع: مشكلة التدين في المجتمع

الحمد لله ذي الجلال الذي عجزت عن إدراك كنهه عقول العريفين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له قصرت عن إحصاء ثنائه ألسنة الواصفين. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله إمام المتقين وخير المبشرين والمنذرين الذي أقام الحجة على الخلق أجمعين. صلى الله عليه وسلم، وشرف وعظم وعلى آله الطاهرين وأصحابه الأكرمين.

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون: يقول الله تعالى في سورة الروم(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون).

أيها المومنون: انه أمر من الخالق سبحانه وهو القاهر فوق عباده بإقامة الدين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان وذلك بالتوجه بالقلب والبدن قصد إقامة شرائع الدين الظاهرة والباطنة، هذه الشرائع التي قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثاره. وهذه الحقيقة هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ونبه لها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أو ينصرانه أو يمجسانه الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ومن ثم كان من الظواهر التي تشاهد في المجتمعات البشرية على اختلاف درجاتها مشكلة التدين مهما كان مصدره وأيا كانت كيفيته، ومن ثم فإن الإسلام يقرر أن التدين غريزة لها جذور عميقة في النفس الإنسانية، فتكفل الإسلام بتصحيح هذه الغريزة وتهذيبها حتى يسمو هذا الإنسان إلى الكمال المادي الدنيوي وإلى الكمال الروحي الأخروي، والإسلام وحده هو القادر على توفر هذين العنصرين، لأنه هو الدين الذي وضحت معالمه، وكرمت مبادئه، وتبثت مصادره محفوظة من التغيير والتحريف والتبديل والتصحيف. قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه. ويهديهم إلى صراط مستقيم).

أيها المومنون: إن الإسلام هو الدستور الكامل والمنهج الذي استهدف إقامة حياة إنسانية رفيعة يتحرر فيها العقل والضمير، وتستقل فيها الإرادة والتفكير، ويشعر فيها كل فرد بأنه سيد نفسه ومالك أمره وأنه لاسلطان عليه سوى سلطان الحق الذي يعلو ولايعلى عليه.

الإسلام . أيها الإخوة المومنون . بعقائده وعباداته ومثله وقيمه هو وحده، الذي بعث الحياة في العواطف الجامدة، واليقظة في القلوب الهامدة، وحرك حواس الخير في الإنسان لتتسع نفسه للعلاقات الحسنة والصدقات الطيبة والمعاشرة بالمعروف، ولذلك فقد حارب الاسلام الظلم والبغي حتى لاتهدر كرامة أحد ولاتنتهك حرمة إنسان ولايشعر ضعيف بهوان، ولايحس فقير بضياع، ولايؤخذ مال بغير حق.

وهذا . أيها المؤمنون . هو الإسلام الذي أرسل الله تعالى به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو الهدى ودين الحق، وليس من دين سواه يستطيع تقديم هذه الفضائل الإنسانية وهو الذي يجب تقديمه للناس في عصر العلم والاكتشافات العلمية.

فاتقوا الله . عباد الله . واعلموا أن الاستقامة على دين الله لاتتحقق إلا إذا التزم المرء ماأمر الله به، وإن الله تعالى مطلع على أعمال الناس يبصرها ويراها فيجازي عليها الجزاء العادل.

علم التوقيت وكتاب " السندسة في معرفة الأوقات بالهندسة

■ إعداد الأستاذ: محمد الرمشاني

■ إن المنجزات العلمية لأسلافنا لن توضع بعد في إطارها الصحيح . فإلى جانب التجاهل التام لها في الأبحاث المعاصرة عن فلسفة وتاريخ العلوم ، نجد في الساحة الثقافية العربية المعاصرة طغيان القراءات الإسقاطية التي تسقط المنجزات العلمية المعاصرة على التراث العربي الإسلامي الوسيط.

وهكذا يمكننا أن نقول في الأخير أن الوضعية الثقافية التي تعيشها العلوم الحقة حاليا في الفكر العربي المعاصر تتطلب منا جهدا مضاعفا للتعريف بإنجاز العرب في تاريخ العلوم ، حتى نتبين بوضوح منزلتها داخل التاريخ الكوني للعلوم . فقد استطاع الغرب الإسلامي في الماضي أن يعرف بالمنجزات اليونانية والمشرقية والمغربية في أوروبا الحديثة، ويمكننا أن نلعب اليوم دورا مماثلا إن نحن استطعنا تحقيق اندماج أكبر في الثقافة العالمية المعاصرة . لأن التحديات الكبرى التي نواجهها خصوصا على المستويين البيئي والديموغرافي تستدعي اعتمادا أكبر على القدرات الإبداعية والخلاقة للإنسان، وكذلك القوة التنظيمية الكبرى للعقل البشري، والتمسك بقوة التاريخ ستجعلنا نكون متيقنين أكثر أننا جزء لا يتجزأ من الفكر الإنساني المعاصر الذي تعتبر العلوم وتطبيقاتها التكنولوجية ركيزته ودعامته الرئيسية .

ففي حين أننا لم نفهم بعد بما فيه الكفاية الثورة العلمية الحديثة تلاحقت ثورات علمية أخرى نحن مطالبون بفهم جميع أبعادها.

وإذا كانت هذه الأبعاد الفلسفية العميقة والهواجس التي تحكمت في إنجاز هذا العمل، فإن ما يمكن قوله عن التحليل الرياضي ، هو أننا حاولنا أن ننقل فيه بكل أمانة الأفكار والتقنيات المعروضة من قبل الشبراملسي ، محترمين كل الخطوات التي قام بها لإنجاز العمليات الرياضية التي تضمنها كتابه " السندسة في استخراج مواقيت الصلاة بالهندسة "

وإن كان هناك من فضل لهذا الفصل فهو يكمن في كونه يقدم للقارئ نظرة سريعة عن القضايا الرياضية التي عالجها الرياضي الشبراملسي. وكنا مضطرين بطبيعة الحال إلى وضع أشكال هندسية لأنها بواسطتها يمكن أن تعكس بوفاء طريقة معالجة المؤلف للقضايا الرياضية وكذلك قوة التصور التي كان يتمتع بها الرياضيون القدامى الذين كان باستطاعتهم إدراك العلاقات الرياضية دونما حاجة إلى تصويرها ورؤيتها.

سبقت الإشارة في المقالات السابقة . إلى أن من الوسائل التي كانت تعتمد في تحديد مواقيت الصلاة. الآلات الفلكية على اختلاف أنواعها ، وقد تقدم لنا الكلام على أنواع منها التي كانت متداولة ومشتهرة بين أوساط علماء الهيئة والتوقيت منذ عصور خلت.

وكان أشهرها هو الربع المجيب نظرا لعموم عمله لجميع عروض البلدان، ولما له أهمية ودور فعال في هذا الجانب.

ولما كان علم الهيئة من الفنون الأساسية لدارسي علم التوقيت ، كان على الطالب في هذا الفن أن يتعرف بالضرورة على مقدمات في علم الحساب على أنواعه، والهندسة ، وحساب المثلثات و إن كان تصور جميع أنواع الدوائر الفلكية الاعتبارية من الأمور التي يجب العالم الفلك أن يتصورها وأن يربط حدودها ومراكزها وتقاطعها مع بعضها البعض، وهو في ذلك يحتاج إلى دربة وتمرين، وهذه الدوائر لها حدودها الفلكية الاصطلاحية ، وبشكل تقاطع هذه الدوائر بعضها مع بعض مثلثات كرية لكي يسهل معها استخراج أي ضلع منها بالحساب وبالمعدلات الرياضية.

على آلة فلكية كـ " ذات الكرسي " و" الجامعة " وذات الحلق".

ومؤلفنا هذا سلك طريق الهندسي حيث يرشدنا في كتابه هذا إلى وضع خطوط ،

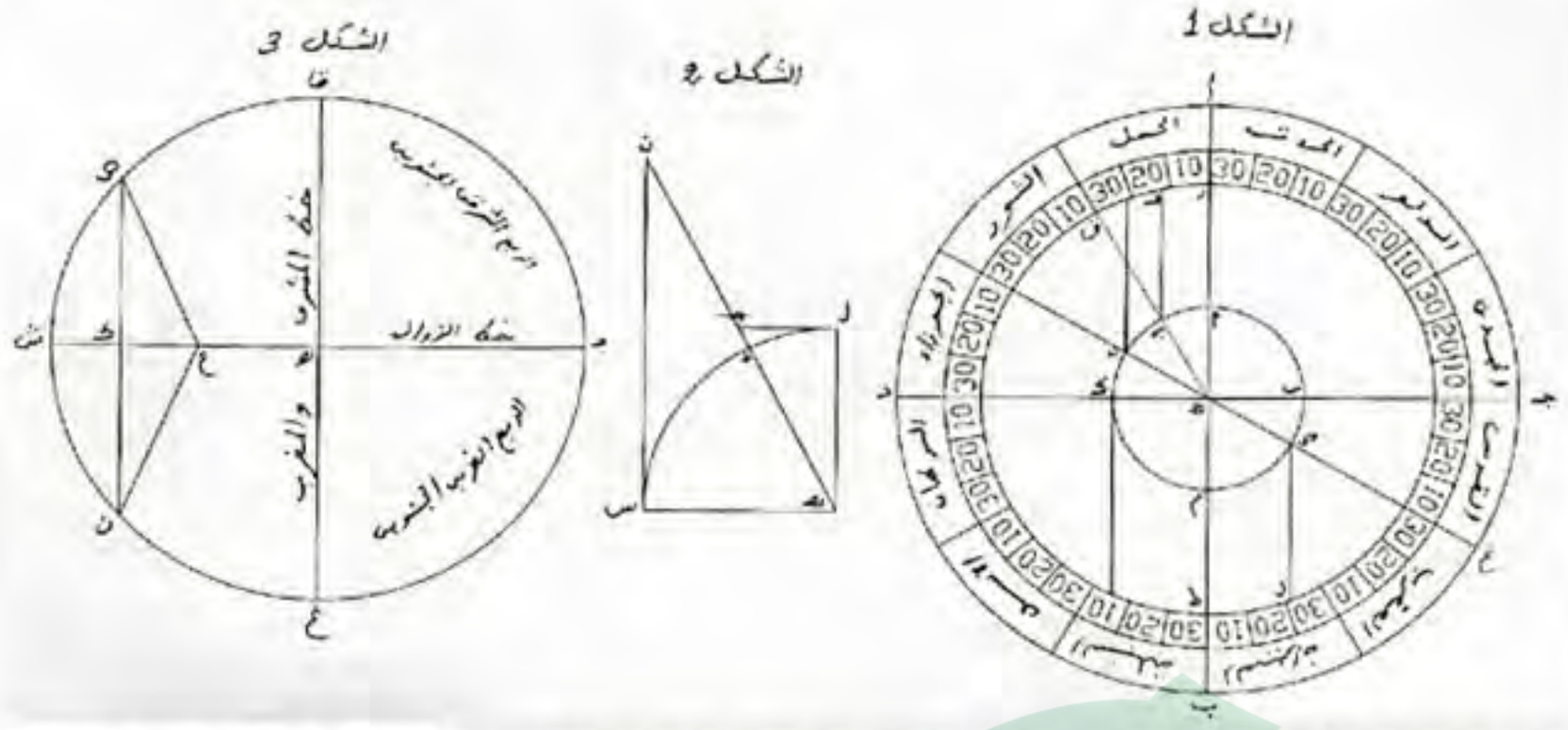

ومرانا على ذلك قام أحد العلماء الأفاضل المتخصصين في هذا الفن بتأليف كتاب سماه" السندسة في معرفة الأوقات بالهندسة" وهو المرحوم الشيخ محمد بن علي الشبراملسي المالكي المتوفي سنة 1021 هـ / 1612م.

راجع خلاصة الأثر ج 4 ص 44 ، هدية العارفين ج 2ص 269. ومعجم المؤلفين ج 11 ص 15، الأعلام للزركلي ج 6 ص 292.

حيث قال عنه:

محمد بن علي بن محمد الشبراملسي المالكي : باحث في الحساب والأوفاق والحروف ، له علم بالمنطق والعروض، من أهل " شبرى ملس" بمصر ، كان موجودا سنة 1021هـ ، من كتبه:

1 . بهجة المحادث في أحكام جملة من الحوادث . مخطوط.

2. طوالع الإشراق في وضع الأوفاق.

3. والنبذة الوفية في وضع الأوفاق العددية . مخطوط.

4 . وإيضاح المكتتم في حساب الرقم. مخطوط.

5 . والدرة البهية في وضع بسائط فضل الدائر بالطرق الهندسية. مخطوط .

6 . والإرشاد والعلم بخواص الأعداد . مخطوط.

7 . والرجز المفروض في علم العروض . مخطوط.

8 . والأرجوزة في دخول شهر المحرم من أي يوم من أيام الأسبوع مخطوط.

9 . وشرح " إيساغوجي " في علم المنطق . انتهى.

ولم يذكر له رحمه الله كتابه هذا الذي هو موضوع هذا المقال.

ونظرا للإطار العام المحدد لهذا البحث فليس من الممكن إعطاء لائحة كاملة لأعمال الشيخ الشبراملسي في مختلف المجالات التي اهتم بها ، فهذا أمر قد يكون موضوع بحث مستقل عن هذه الشخصية وإسهاماتها الفكرية في مختلف العلوم والفنون.

ولما كان التمرن والتدريب على الهيئة يحتاج إلى أمثلة ، إما على أشكال هندسة ، أو ودوائر ، وأقطارا ، وأنصافها، وأوتار ، لتتبين من خلال معالجتها طرق معادلتها بأفصح عبارة وأوضح برهان .

وكتاب " السندسة" هذا عبارة عن رسالة تحتوي على مقدمة ، وعشرة أبواب ، وخاتمة ، وعندي نسخة مخطوطة منه ، وتوجد نسخة بالخزانة الملكية بالرباط مجموع 466.

يشير المؤلف في هذا الكتاب إلى كيفية وضع أشكال هندسية مسطحة يضعها الطالب على الورقة ، ويقوم بمعالجة أي مطلب من مطالب التوقيت عن طريق التخطيط الهندسي بواسطة . البركار. والمسطرة . ونصف دائرة ، ولا يحتاج بعد هذا إلى أي نوع من أنواع الحساب، وذلك لاستخراج جميع المطالب التوقيتية ، ويجد الدارس في هذا الكتاب أنه قد اكتسب دربة وخبرة على علم الهيئة وأصول الهندسة للمعادلات الرياضية، خصوصا إذا حاول أن يقارن بين كل قوس من أقواس هذه الدوائر مع فن حساب معادلاتها في استخراج المطالب التوقيتية ، كما يقوي على فن تخطيط الآلات الميقاتية على اختلاف أشكالها وأنواعها مع تيسير وتسهيل تصوير ذلك.

إذا الشخص المزاول لاستخراج النتائج التوقيتية بهذه الطريقة لا يحتاج إلا إلى أربع قطع من الآلات الهندسية.

1 . مسطرة مدرجة.

2 . نصف دائرة تساوي 180 درجة.

3 . بركار حاد الإبرة دقيق القلم.

4 . مثلث قائم الزاوية.

ولابد من الدربة ، وليونة اليد ، والانسياب في التعامل مع القطع الأربع في التعليم على رؤوس الأجزاء للدائرة أو المسطرة ، وكذلك في كيفية السحب والتسطير ومراعاة رأس القلم ، وعدم انفلات مركز نصف الدائرة من محله.

هذه هي الأدوات المطلوبة في التعامل مع تعاليم المؤلف المذكور.

يفهم هذا جليا من خلال العرض الذي استفتح به المؤلف كتابه هذا ، حيث يقول .

« هذه رسالة مختصرة مفيدة معتبرة، في معرفة حصص الأوقات في سائر بقاع الأرض المثبتة الأسماء في الأزياج .. باستعمال البركار والمسطرة بطرق هندسية منتخبة عن البراهين المحررة، وضعتها إسعافا للطالب وإشفاقا لذوي الألباب إلى الترقي إلى مراقي الرجال في الإحاطة بمسائل هذا العلم على هذا المثال.

المؤلف هنا في عرضه هذا يعتمد على استخراج مطالب التوقيت اعتمادا على البركار أي البرجل وعلى المسطرة ، وهذا من الأعمال البرهانية العلمية المبنية على المعادلات النظرية ، فهو بهذا الكتاب يحاول أن ينقلك من النظري إلى التطبيقي المبرهن.

إذ نجده قد استفتح كتابه هذا بمقدمة ضمنها تعريفا عاما وكشفا دقيقا لمصطلحات التوقيت. أي مواقيت الصلاة، ورأي الفقهاء المعتبر في هذه المواقيت ، وحدد مفاهيم ذلك بأوجز عبارة .

فتلكم على أهمية معرفة أوقات الصلاة ، وجلب نصوصا من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على معرفة أوقات الصلاة، ويختتم المقدمة بقوله: « والمقصود من هذه الرسالة استخراج مقادير هذه الحصص بالطريق المخصوصة ليعلم بمضي مقاديرها متمكنة».

عندي ملاحظتان على مؤلف هذا الكتاب من ناحية الترتيب والتبويب:

الأولى:

ما جاء في الباب العاشر من تتمات ، هذه التتمات كان ذكر فيها مواضع تتعلق بعلم الهندسة ، بين فيها كيفية وضع الدوائر ، والخطوط، والمراكز ، والأقطار ، وتحديد الأقواس، والقامة ، والأوتار ، وكيفية الجمع بين ثلاث نقاط، والخروج من نقطة مفروضة في سطح عمودا ، ووضع التوازي وتربيع الدائرة . وصحة قيام الشاخص ، وتجزئة الأقواس ، واستعمال المنقلة والمسطرة والبركار ، هذه الأمور وضعها رحمه الله في آخر الكتاب ، وكان عليه أن يضعها في أوله لأن معرفة هذه الأشياء واستعمال هذه الأدوات هي مما يجب تعلمها قبل الشروع في هذا الكتاب، فكان ينبغي أن توضع في أوله لا في آخره.

العلم الإلهي الثاني علم تنزيل المطر (وينزل الغيث)

■ إعداد الدكتور: ادريس خرشاف

■ لايستطيع أحد من الباحثين أو العلماء أن ينكر دور البحث العلمي في حياة الأمم، إذ يعتبر الأساس المتين لرقي الشعوب، وأن مثله العليا تتفق مع الاتجاهات الحديثة في عالمنا المعاصر.

وإذا نظرنا إلى الإسلام، فإننا نجده يشيد بالعلم والعلماء ويسمو بهم إلى درجة العبادة، لأنهم هم الذين يخشون ربهم في مختبراتهم ومراكز الأرصاد الجوية ويعرفون حدود عقولهم، مصداقا لقول رب العالمين: "والراسخون في العلم يقولون آمنا" سورة آل عمران/الآية:7.

فالمدرسة الإسلامية إذن تعتبر الجانب الهام من جوانب التربية الأخلاقية الفكرية والسلوكية، من أجل بناء مؤسسات علمية تنفرد بعملية خلق المنهج العلمي، ونقل التراث الفكري الذي تتكون منه ثقافة المجتمع، إلى الأجيال الناشئة.

وإذا كان بحثنا المتواضع هذا، ينكب بالأساس على دراسة علم الحق سبحانه الذي ينفرد به، ألا وهو علم تنزيل المطر مصداقا لقول الله تعالى: "وينزل الغيث" فإن ماذكرناه آنفا يعتبر أرضية المناقشة الكونية، لقضايا قد يظن البعض أنها مظاهر جغرافية بسيطة لاتحتاج إلى بذل هذه الجهود، خاصة وأننا بدأنا نسمع في الآونة الأخيرة، أن العلماء استطاعوا بفضل مجهوداتهم وتقنياتهم إسقاط المطر بواسطة المفرقعات سحابة فوق منطقة معينة.

كل ذلك جميل ونافع للإنسان، لكن الإشكالية الكبرى التي ستطرح على الإنسان هو معرفة الميكانيزمات الطبيعة والمختلفة لنزول المطر من جهة، وإنزال المطر عندما لاتوجد السحب، ويمكننا صياغة هذا وذاك في الإشكالية الكبرى ألا وهي: من سيأتي بالمطر عندما تجف السماء، مصداقا لقوله تعالى:

(قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين"(الملك:30).

ولمعرفة خوارزمية الحصول على الماء، لابد لنا من استعراض هذه المادة(الماء) ومعرفة دورها في الطبيعة ليكون المسلم على بينة من ذلك، مستعملين في ذلك فضاء البحث العلمي وفضاء العلم الإلهي.

ورقة تعرف الماء: الماء عبارة عن مادة لا لون لها ولا طعم ولارائحة، لها نظام ثلاثي الذرة(H_2O) ، (إذ تتشكل من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين).

ويرتبط نزول المطر بعاملين اثنين:

1. حركة الماء في البحار والأنهار والمحيطات.

ب. حركة الماء في الفضاء على شكل بخار.

أ. بالنسبة لتوزع الماء على الكرة الأرضية، والذي يشغل الجزء الأكبر من أرضنا التي نعيش عليها، فإنه يكون موزعا على الشكل الآتي:

ا: 1. في المحيطات: وتحتوي على 1015(1.350)م3من الماء(أي مانسبته 97في المائة).

ا:2. في القارات: ويحتوي على 1012(13)م3من الماء.

المدة الزمنية لبقاء الماء

نلاحظ أن بقاء الماء في الهواء لايتعدى تسعة أيام، أما في المحيطات والأقطار فإن بقاءه يفوق آلاف السنين بل ملايين السنين (وهو مايسمى بالمياه المستحاثاتية (Leau Fossile).

دور الماء الطبيعية:يقول أهل الجيولوجيا والعلوم الطبيعية، أن دورة الماء تكون على الشكل الآتي: عندما تتبخر البحار بفعل حرارة الشمس، فإن بلورات الماء (بخار الماء) تصعد إلى الأجواء الفضائية حيث تبرد وتتجمع، عندها تكون سحبا، تجرها الرياح إلى مكان يخضع لشروط معينة، فيسقط المطر نتيجة ظروف مناخية مواتية.

لذلك لابد من سرد إشكاليات سقوط المطر وعواملها حتى يكون المسلم على اطلاع بما يجري حوله، وحتى يتعرف على علم الله سبحانه وقوانينه.

إشكاليات سقوط المطر: إن سقوط المطر لايأتي بشكل عشوائي أو عن طريق الصدفة (كما يتوهمه البعض، لأن لفظة الصدفة وفكرتها ليس لهما وجود في معجم الطبيعة ومجالاتها)، وإنما له قوانينه وأسسه، مازالت غير محددة إلى يومنا هذا، رغم التقدم الكبير الذي حصل في ميدان علم الفلك.

ومن بين إشكاليات سقوط المطر:

1. شدة التيار الهوائي واتجاهه، إذ لايخضعان. في الحالة العامة لنظام معين.

2 تساقط الأمطار الذي يتعلق بالتوزيع الجغرافي للمنطقة.

3 كمية الأمطار في الفضاء، فهي لاتخضع لفكرة خط الطول والعرض، وإنما كذلك للمرتفعات، كما أنها تخضع لعوامل ومؤثرات أخرى ما زال العلم الحديث لم يجد تفسيرا لها.

بالإضافة لكل ذلك، فإن توزع الماء في الفضاء يخضع بدوره لعدة عوامل، نذكر من بينها:

ا. التبخر.

ب. سقوط المطر.

ج. تحرك الكتل البخارية بواسطة الرياح.

وقد ذكر مجموعة من الباحثين (CNRS/1990)أن عملية التبخر والسحب وسقوط المطر تعتبر من القضايا المعقدة.

فإن كان كذلك، فما هي وضعية الإنسان المعرفية داخل هذه الإشكاليات حتى يتعرف على طريقة وخوارزمية سقوط المطر؟

من أجل ذلك يجب علينا (نحن معشر المسلمين)، فتح كتاب الله عز وجل وقراءته قراءة عقلانية صحيحة، ليتضح لنا أن الإنسان مهما بذل من جهد داخل فضائه، فسوف يظل دوما بحاجة إلى خالقه الذي يملك علم تنزيل المطر ومعادلاته الكونية، وهذا ما نقرأه من خلال الآية الكريمة التي يقول فيها سبحانه وتعالى : "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك الذي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"(البقرة/الآية:164).

أما ديناميكية حركة المياه ونزولها في منطقة من المناطق، فقد بينها لنا رب العالمين منذ خمسة عشر قرنا حينما يقول:

"ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ". (النور/الآية:43).

فخوارزمية إنزال المطر حسب القانون الإلهي المبين في الآية السابقة الذكر تمر بالمراحل الآتية:

1. دفع السحاب (الموجود على شكل بخار ماء).

2. جمع السحاب.

3. جعل السحاب طبقات.

4 إخراج المطر من أعماق الطبقات (وبقدر).

5 إنزال المطر في منطقة معينة دون منطقة أخرى.

وهكذا نلاحظ في كل المراحل، قضايا يصعب على المرء التدخل فيها والسيطرة عليها، سوى في بعض الأحيان عند المرحلة الخامسة التي مازالت موضع اختبار واهتمام الباحثين.

ففي ذلك إذن، نص واضح المعالم على علم الله سبحانه وتعالى، الذي يصنع في خلقه مايشاء، وبرهان قاطع على أن إنزال المطر يكون من لدن الحكيم الخبير، ومن أراد أن يتعمق في معلوماته، ويتأكد من مصداقية كلامنا، فما عليه إلا طلب الاستفسار من ذوي الخبرة العلمية، ويسألهم عن سبب عجزهم على معالجة مشكلة الجفاف عندما تجف سماء بلادهم.

كما أن الله سبحانه وتعالى يرينا آياته الأخرى عندما يريد إنزال المطر حيث يقول سبحانه:

"الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله، فإذا أصاب به من يشاء من عباده، إذا هم يستبشرون)الروم/الآية:48.

إنها براهين ساطعة لقوم يعقلون، حيث أدت كل عناصر الكون دورها بإتقان بديع وفق قانون طبيعي لايعلمه إلا رب العالمين.

وعندما ينزل الله المطر على عباده، فإن ذلك لا يكون عشوائي النزول وإنما بقدر معين، مصداقا لقوله تعالى : (أنزل من السماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا)الرعد. 17).

وهناك آيات عديدة تصب في نفس الأفكار مما يدل على علم الله الخاص.

بعدما تعرفنا على كل العوامل والمعطيات التي تؤدي إلى نزول المطر، يبقى سؤالنا الأبدي هو: هل بإمكان الإنسان القدرة على تكوين السحب وبنائها ثم إسقاط الماء منها؟

لقد جاء الحق وحسم في هذه الإشكالية بشكل قاطع حينما قال:

"أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين"الملك/الآية:30.

العبرة: تبقى أخيرا معرفة العبرة التي يمكننا الخروج بها من هذا المقال:

لقد أجمع العلماء وفي مقدمتهم الإمام الشاطبي. رحمه الله تعالى. على القول: إن الاجتهاد فرض لازم للأمة الإسلامية وواجب عليها، يقوم به الفرد الذي توفرت فيه شروطه.

ونقول بدورنا: إنه من الضروري ترشيد الطاقات الإسلامية، ونقصد بها براعم الإيمان للأخذ بالتعاليم السماوية، وحملها على استخدام العقل الذي يعتبر أمانة التفكير في الكون، حتى تكشف معجزات الخالق، فتفجر ينابيع العلوم والإدراك والابتكار.

وبالرغم من ذلك، فيجب على الإنسان ألا يتعدى حدوده، وأن يظل في إطار العقلانية الإسلامية التي ترتب بيت المسلم، وتعمل وفق متجهتين: متجهة البحث العقلاني ومتجهة الإيمان الرباني.

«المصلحة المرسلة وحجيتها عند المذاهب الأربعة»

■ إعداد الأستاذ أحمد بلحاج

■ من المعلوم أن الشريعة الإسلامية تشمل على ما يحقق مصالح الناس ويدفع عنهم المضار ، كما في تعريفها : إنها المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق، وكل من درس هذه الشريعة وغاص في أسرارها أدرك ذروة المصالح التي حققها ويحققها الإسلام للإنسانية كلها في جميع العصور والأمصار.

وبعد أن أجمع العلماء على أن الإسلام يعمل على تحقيق مصالح الناس عن طريق الأحكام التي اشتمل عليها في النصوص الواردة عن الشرع اختلفوا حول اعتبار المصلحة أصلا من أصول التشريع وعدم اعتبارها، فمن الفقهاء من أنكر اعتبار المصلحة المرسلة أصلا مستقلا يحتج به ويسند إليه في الفتوى والقضاء والتشريع كالنص والإجماع والقياس وذلك مثل الإمام الغزالي الذي اعتبر المصلحة من الأحوال الموهومة.

وقد اعترض بذلك بنفسه ثم أجاب في كتاب المستصفى بقوله.

(من ظن أنه أصل بنفسه فقد أخطأ لأنا رددنا المصلحة إلى حفظ مقاصد الشرع ومقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع، وكانت من المصالح الغريبة التي لا تلائم تصرفات الشرع فهي باطلة مطرحة ومن حار إليها فقد شرع كما أن من استحسن فقد شرع وكل مصلحة رجعت إلى حفظ مقصود شرعي ، علم كونه مقصودا بالكتاب والسنة والإجماع ، فليس خارجا من هذه الأصول ، ولكنه لا يسمى قياسا بل مصلحة مرسلة ، إذ القياس أصل معين ، وكون هذه المعاني مقصودة عرفت لا بدليل واحد ، بل بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة وقرائن الأحوال وتفاريق الإمارات ، تسعى بذلك ، مصلحة مرسلة، ... وإذا فسرنا المصلحة بالمحافظة على مقصود الشرع فلا وجه للخلاف فيها، بل يجب القطع بكونها حجة ، وحيث ذكرنا خلافا فذلك عند تعارض مصلحتين ومقصودين عند ذلك يجب ترجيح الأقوى.

وقد شاع أن الاستدلال بالمصلحة المرسلة خاصة بمذهب المالكية، ولكن شهاب الدين القرافي يقول ردا على من نقلوا إختصاصها بالمالكية : وإذا افتقدت المذاهب وجدتهم إذا قاسوا أو جمعوا أو فرقوا بين المسألتين لا يطلبون شاهدا بالاعتبار لذلك المعنى الذي جمعوا أو فرقوا بل يكتفون بمطلق المناسبة، وهذا هو المصلحة المرسلة فهي حينئذ في جميع المذاهب ، فالذي يطالع كتب المذاهب الأخرى يجد فيها المئات من المسائل إنما يعللونها بتعليلات مصلحية وإن كان الحنفية والحنابلة أكثر من الشافعية في ذلك.

ويذكر القرافي أن الإمام الحرمين، قرر أمور كثيرة وجوزها وأفتى بها وجسر عليها وقالها للمصلحة المطلقة ، وكذلك الغزالي ، وهما شافعيان.

ولكن الغزالي ضيق في الأخذ بالمصلحة المرسلة واشترط لها شروطا.

. أن تكون ضرورية من الضروريات الخمس : النفس. الدين. العقل. النسل. والمال.

. أن تكون كلية تعم جميع المسلمين بخلاف ما لو كانت لبعض الناس دون بعض أو في حالة مخصوصة.

. أن تكون قطعية أو قريبا من القطعية.

والمتتبع لعمل الصحابة رضي الله عنهم ، يظهر له أنهم لم يكونوا يلتزمون بهذه الشروط كلها، وإنما يراعون المصلحة وإن كانت جزئية ، أو حاجية ، أو ظنية.

فهذا سيدنا عمر يقضي ويحكم بطلاق امرأة المفقود بعد مضي أربع سنوات ، إما من حين فقده ، أو من حين رفع أمرها إلى القضاء رعاية لمصلحة الزوجة ورفعها للضرر عنها، وإن لم يثبت موت زوجها ، وهي مصلحة جزئية وحاجية وظنية، وقد أقر عمر على ذلك عثمان وعلى وابن عمر وابن عباس وجماعة من التابعين، ولهذا لم يشترط الإمام الشاطبي ما اشترطه الإمام الغزالي وإنما اشترط أمورا ثلاثة يجب مراعاتها عند الأخذ بالمصلحة وهي كالتالي:

أن تكون معقولة في ذاتها، بحيث إذا عرضت على العقول تلقتها بالقبول فلا مدخل لها في الأمور التعبدية فإن الأصل فيها أن تؤخذ بالتسليم.

. أن تكون ملائمة لمقاصد الشرع في الجملة بحيث لا تنافي أصلا من أصوله ولا دليلا من أدلته القطعية بل تكون متفرقة مع المصالح التي قصد الشرع إلى تحصيلها بأن تكون من جنسها أو قريبة منها ليست غريبة عنها وإن لم يشهد دليل خاص باعتبارها.

أن ترجع إلى حفظ أمر ضروري أو رفع حرج لازم في الدين.

وأما رجوعها إلى حفظ أمر ضروري فهو من باب مالا يتم الواجب إلا به فهي إذن من الوسائل لا المقاصد.

وأما رجوعها إلى رفع حرج لازم ، فهو إما لاحق بالضروري وإما من الحاجي الذي مرده إلى التخفيف والتيسير.

وليس من اللازم أن تكون كلية عامة ، فرعاية الأفراد والفئات المختلفة، أمر معتبر في الشريعة وليس من اللازم أن تكون قطعية، فالعمل بالظن الراجح أمر معمول به في الأحكام الفرعية ، وناط به الشرع أمورا كثيرة والأمر الهام الذي ينبغي الالتفات إليه والاحتياط فيه ، أن تكون المصلحة حقيقة لا وهمية ، فقد يخيل الوهم وسوء التصور لبعض الناس أن عملا ما مصلحة وهو في حقيقة مفسدة، أو أن ضرره أكبر من نفعه ، فكثيرا ما يغفل الناس المصلحة العامة لأجل المنفعة الخاصة أو يغفلون الخسارة المعنوية من أجل الكسب المادي... قال ابن دقيق العيد : لست أنكر على من اعتبر أصل المصالح ، ولكن الاسترسال فيها وتحقيقها يحتاج إلى نظر سديد».

والأحكام المبنية على مصلحة تظل معتبرة ما بقيت هذه المصلحة التي هي مناط الحكم وعلته فإذا انتفت وجب أن يتغير الحكم تبعا لها ، لأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما.

وذلك مثل نهيه (ﷺ) عن كتابة الحديث في أول الأمر خشية اختلاطه بالقرآن ومثل الزام عمر الصحابة أن ينقلوا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما اشتغلوا به عن القرآن ، قال ابن القيم : سياسة جزئية بحسب المصلحة تختلف باختلاف الأزمنة ، فظنها من ظنها شرائع عامة لازمة لأمة إلى يوم القيامة ، ولكل عذر وأجر من اجتهد في طاعة الله ورسوله ، فهو دائر بين الأجر والأجرين.

وبناء الأحكام على المصالح الزمنية والبيئة من أسباب تغير الفتوى واختلافها باختلاف الأزمان والأماكن والأحوال. والله ولي التوفيق.

■ الأستاذ: محمد الأخضر الريسوني

خواطر وخواطر

ملح الحياة

■ في زيارة قمت بها إلى تطوان فوجئت وأنا أتجول في شوارعها بأكوام النفايات والأزبال ملقاة على الأرض ، وقد ارتفعت منها روائح كريهة تزكم الأنوف وسألت أحد المارة ماذا حدث ؟ وما الأمر؟ فأجابني هناك إضراب لعمال النظافة وفي كل ركن من أركان المدينة تبعثرت أكداس القنانى والعلب الفارغةواكياس البلاستيك السوداء، هذا والناس يمرون على هذه المشاهد بلا مبالات وما أظن أن أحدهم تساءل مع نفسه : لماذا يضرب عمال النظافة؟ ألا يستحقون كل عون من المجلس البلدي لمدينة يصل عدد سكانها حوالي المليون؟ وأجد نفسي أحيانا متأثرا لحالة عامل نظافة يطرق باب بيتي وهو يرتدي لباسه الأزرق طالبا المساعدة ، فأنظر إلى وجهه الأغبر الأزرق، وأتذكر قول الرسول الكريم عندما صافحت راحته الشريفة يد عامل اخشوشنت بسبب المشقة والعناء : هذه يد يحبها الله ورسوله.

إن هؤلاء البسطاء من الناس أشبه ما يكون بملح الأرض ، فهم الذين يحملون حياتنا، ويعطونها هدفا ومعنى ولهم دور في الحياة و إن كان سهلا بسيطا في مظهره، لكنه ضروري وكبير ولا غنى عنه في جوهره.

وكذلك الملح المستخدم في الطعام، له أهميته في مذاق الأكل، فلا غنى عنه في الطعام أو لجسم الانسان ، وبالرغم من شكله ومظهره الهش البسيط، إلا أنه يلعب دورا متميزا في حياة الناس وحاجاتهم وأذواقهم.

والحياة لا يمكن أن تسير بدون هؤلاء البسطاء الذين يقومون بأعمال هامشية كما نظن، ونعتقد من النظرة الأولى إليهم بكوننا لا نستغني عن أعمالهم البسيطة التي يؤدونها ، فمن سيقوم بها ، إذا كان كل فرد منا في مكانة عالية مرموقة يأبى ويتأفف من القيام بالأعمال الدنيا من ينكر دور عمال نظافة الشوارع والطرقات؟

لو تصورنا ذات صباح عدم وجودهم أو امتناعهم عن مزاولة النظافة والتخلص من النفايات، ما المظهر الذي سوف نتخيله من جراء عدم أداء هذا العمل البسيط لمن يقوم به؟ سنجد أكواما من النفايات والبقايا والفضلات تملأكل مكان، وحولها القطط والكلاب تتشاجر وهي تعبث بهذه الأكوام المكدسة في كل مكان، لكن ملح الحياة... هؤلاء البشر من البسطاء قادرون بكل مرونة وهدوء وعدم مبالغة في قيامهم بدورهم أو التأفف من جراء ذلك العمل المتدني هم قادرون على إزالة كل صورة سيئة تضر أو تؤذي النفس البشرية التي تعشق الجمال والنظام، وتميل إلى الهدوء وراحة البال.

من حيث المبدأ ، لايوجد عمل رفيع وآخر متدن ، فأعمال النظافة هي التي تقوم بدور تجميل الشوارع ونفض الغبار عن مواطن الجمال فالحياة بدون ملح، بدون العمال البسطاء ، لاطعم لها، وهذه إحدى الحكم الإلهية في الأرض، وهذا الاختلاف بين البشر رحمة، ورحمة الله سبحانه وسعت كل شيء.

الأستاذ إبراهيم ياسين « جنوب الأطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الكلاويين» أثار الاحتلال الفرنسي لبلاد آيت واوزكيت

■ إعداد الأستاذ: محمد العلمي / مكتبة عالم الفكر

■ صدر عن دار أبي رقراق للطباعة والنشر 2003 من الحجم المتوسط في 490 صفحة هذا البحث سلط أضواء كاشفة على إقليم منطقة تقع جنوب أطلس مراكش موطن مسعودة الوزكاتية والدة أحمد المنصور الذهبي مؤسس الدولة السعدية ، قدم لنا الباحث المجال الجغرافي والبشري وكل جوانب حياة سكان هذه المنطقة والتغيرات التي عرفتها من جراء صدمة الاستعمار استحضرهم وتذكرهم عبر فترة تاريخية منذ دولة الموحدين ، وركز على المجال الجغرافي البشري لمجموعة من قبائل آيت كيت والتي تتكون من تسعة عشرة قبيلة تتواجد وتجتمع كلها حول جيل سيروا يحدثنا المؤلف عن ما تميزت به هذه المنطقة من عادات وأعراف وتقاليد وأنظمة اجتماعية مشتركة التي تشكلت عبر فترة تاريخية قديمة ، وينبهنا الأستاذ ابراهيم ياسين عن قسوة الطبيعة ومناخها والفقر، ورغم هذه الصعوبات. فقد اقتحم الباحث هذا العمل الجامعي الهام رغم ما تثيره هذه الدراسة من صعوبات منهجية فإن ضروريتها تفرض البحث والكشف عندما تميزت به هذه المنطقة من خصائص وما تميزت به في نطاق البحث عن بوادي المغرب ومدنه تاريخيا وسوسيولو جيا واقتصاديا. وقد اهتم هذا البحث منذ 1912 لأن بلاد آيت واوزكيت احتكت بالإدارة الفرنسية في فترة دقيقة بيعة المولى عبد الحفيظ وطرد أحمد الهيبة الذي حارب الوجود الفرنسي من طرف القوات الفرنسية بمساعدة رؤساء القبائل " المزواريين الكلاويين " الذين كانوا في خدمة المصالح الفرنسية.إلى أن استقل المغرب ، ويخبرنا المؤلف أن تحديده لنهاية بحثه هذا توقف عند سنة 1939م معللا ذلك أن الجهود الفرنسية لاحتلال آيت واوزكيت جنوب المغرب عامة وصلت ذروتها قبيل بداية الحرب العالمية الثانية التي غيرت دور الاستعمار الفرنسي بطريقة جذرية فرضتها ظروف الحرب العالمية الثانية . وأن السياسة الفرنسية طبقت أسلوب التغلغل التدريجي ».

ويؤكد الباحث التزامه بالمنهج العلمي الصارم في بحثه وأنه لم يخضع للتأثر المسبق للأطروحتين المتعارضين في مجال أطروحته التي لا ترى في الاستعمار « رسالة تمدنية»

وكذا الأطروحة التي لا تعترف بالاستعمار إلا بالأثار التخريبة مثبتا في صفحة 14 أنه تناول موضوعه دون حساسية غير تاريخية ، ونستخلص مما سبق ذكره أن هذا البحث أبرز طبيعة التحولات والتغييرات التي نتجت عن دخول الفرسيين إلى بلاد آيت واوزكيت من خلال الدراسة المركزة التي قدمها لنا للتغيرات التي أصابت المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

جاءت فصول هذه الدراسة في صفحة 14 أن القسم الأول وفصوله الثلاث عرف بالإطار الجغرافي والقبلي والتاريخي العام مبرزا الخصائص الطبيعية والمميزات القبلية والتاريخية لبلاد قبائل آيت ووازكيت راصدا مسار علاقتها بالسلطة المركزية كما أشرنا من العهد الموحدي مركزا على حالة تنظيماتها الاجتماعية قبل عهد الحماية.

القسم الثاني جاءت فصوله الستة مركزة على دراسة مراحل الاحتلال الفرنسي لبلاد آيت واوزكيت حتى نهاية السنوات الثلاثين من القرن العشرين، وأوضع الوسائل التي استعملتها إدارة الحماية في تلك المنطقة والنتائج التي وصلت إليها متتبعا بدقة دور العائلة المزوارية في التغلغل الفرنسي وصيغة الحكم الذي أقيم في هذه القبائل. وما تميزت به من علاقات بين الإدارة الفرنسية والعائلة الكلاوية.

القسم الثالث وفصوله الثلاثة خصصت للكشف عن التأثير الفرنسي على الحياة الاقتصادية للسكان في المجالات الفلاحية والحرفية والتجارية والمعدنية موضحا التغييرات الناتجة عن الدخول الفرنسي لهذه البلاد بالنسبة لوسائل العمل وأساليبه ،وماوصلت إليه من آثار على معيشة السكان ومجالات الاستغلال التي نتجت على سياسة الإدارة الفرنسية.

وخصص القسم الأخير من هذه الرسالة في فصولها الأربعة دراسة آثار الاحتلال الفرنسي على المجال الاجتماعي وذلك عن طريق فحص أنواع الوسائل المستخدمة لاقتحام تلك القبلائل متتبعات تأثير ذلك على السكان وفئاتهم الاجتماعية والمصير المعيش لتلك التنظيمات الاجتماعية التقليدية التي كانت تؤطي حياتهم موضحا دور الإدارة الفرنسية على تلك القبائل مقارنا ذلك بدور الرؤساء المزواريين ، وقد أشار في صفحة 15أن المادة التاريخية اعتمدت في هذا العمل على وثائق الحماية الفرنسية بشكل رئيسي نظرا لتعذر الوصول إلى غيرها من الوثائق المغربية معتبرا تصنيف الوثائق المستعملة في هذا البحث.

تقارير دورية متنوعة كانت إدارة الحماية الفرنسية تصدر منها ما يزيد عن عشرة تقارير-اليومية والأسبوعية والشهرية ونصف سنوية والتقارير العامة- اهتمت بنشاط السكان وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والصحية ونشاط الإدارة العسكرية والمدنية للحماية ونشاط رجال المخزن محليا، وقد استفاد الباحث كذلك كما يؤكد ذلك في صفحة 17 من العديد من الكتب والمقالات خاصة منها مذكرات ضباط الحماية التي استعملها الباحث كتكمله للمادة التوثيقية مثل كتابات « روبير مونطافي »و« سيبلمان »و« الجنرالين» « كاثروا» و « هوري » اللذان حكما ناحية مراكش بين سنتي 1927 . 1937 وقد احترس الباحث من التعامل مع هذه المصادر حتى لا ينساق مع أهداف المصالح الفرنسية . بالنسبة للمراجع باللغة العربية اعتمد المؤلف على تاريخ المنطقة قبل الحماية مضيفا إلى الرواية الشفوية فاحصا إياها حتى تجعل عمله لا يخرج عن الأهداف التي صمم لها.

ومن الفئات الاجتماعية التي جاءت في هذه الرسالة الزوايا ذات النفود في البلاد آيت واوزكيت مثل زاوية تامكروت بوادي درعة ، وأن هذه الزاوية هي المركز الروحي لجميع الزوايا الناصرية المهيمنة في بلاد آيت واوزكيت، وقد تميزت هذه الزاوية بتخليها عن معارضة المخزن بل استطاع الحسن الأول التدخل في تعيين شيوخها ، وبعد فرض الحماية على المغرب واجه بعض شيوخ الزوايا الاستعمار لكن الجيش الاستعماري ودعم المزواريين للفرنسيين قضوا على نفوذهم سنة 1914 ، والمؤلف في بحثه ارتكز على المنهج التاريخي متتبعا التسلسل الزمني للأحداث والتطورات والتحولات التي عرفتها هذه الزاويا خلال الفترة المبحوث فيها، والباحث لم يفته أن قدم لنا ضمن بحثه الحديث عن فئة من السكان يهود قبائل آيت واوزكيت. عرفنا على واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والتحولات والتغيرات التي مروا بها ، وقد عزز المؤلف عمله بجدول إحصاء لعدد سكان المنطقة المدروسة وعدد سكان اليهود في جدول بياني صفحة 428.

والكتاب جاءت فيه مواضيع أخرى مرتبة ترتيبا منهجيا محكما، وبكل صدق وموضوعية يعد هذا الكتاب انجازا علميا رصينا ، وعملا أكاديميا متميزا سيضيف لبنة جديدة لتاريخ منطقة تعد أهم جزء من مكونات التاريخ المغربي الذي هو في حاجة إلى المزيد لمثل هذه الأعمال للكشف عن خفاياه وحقائقه التي ما زالت في طي الكتمان والإهمال.

إبراهيم ياسين

جنوب أطلس مراكش
تحت حكم الفرنسيين والقادة الكلاويين

آثار الاحتلال الفرنسي لبلاد أيت واوزكيت

مختارات من مجموعة رسائل الإمام الغزالي

الأدب في الدين

الحمد لله الذي خلقنا فأكمل خلقنا، وأدبنا فأحسن أدبنا، وشرفنا بنبيه محمد (ﷺ) فأحسن تشريفنا، ثم أقول وبالله التوفيق:

إن أكمل الأخلاق وأعلاها، وأحسن الأفعال وأبهاها، هو الأدب في الدين، ومايقتدى به المؤمن من فعل رب العالمين، وأخلاق النبيين والمرسلين. وقد أدبنا الله تعالى في القرآن بما أرانا فيه من البيان، وأدبنا بنبيه محمد (ﷺ) في السنة بما أوجب علينا، فله المنة، وكذلك بالصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الأدب من المؤمنين بما أوجب علينا من الاقتداء بهم، وذلك جليل خطره، كثير عدده، نذكر بعضه، لئلا يطل شرحه فيعسر فهمه.

الأداب بين يدي الله تعالى
أدب المؤمن بين يدى الله تعالى

إطراق الطرف، وجمع الهم، ودوام الصمت، وسكون الجوارح، ومبادرة امتثال الأوامر، واجتناب المناهي، وقلة الاعتراض، وحسن الخلق، ودوام الذكر، وتنزيه الفكر، وتقييد الجوارح، وسكون القلب، وتعظيم الرب، وقلة الغضب، وكتمان الحب، ودوام الإخلاص، وترك النظر إلى الأشخاص، وإيثار الحق، واليأس من جميع الخلق، وإخلاص العمل، وصدق القول، وتنزيه الاطلاع، وإحياء القربات، وقلة الإشارة، وكتمان الفائدة، والغيرة على تبديل الاسم. والغضب عند انتهاك المحارم، ودوام الهيبة، واستشعار الحياء، واستعمال الخوف، والسكون ثقة بالضمان، والتوكل معرفة بحسن الاختيار، وإسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وارتعاش القلب خوف فوت الفرض، ودوام التوبة خوف الإصرار، ودوام التصديق بما غاب، ووجل القلب عند الذكر، وزيادة الأنوار عند الوعظ، واستشعار التوكل عند الفاقة، وإخراج الصدقة من غير بخل مع الإمكان.

آداب العالم

لزوم العلم، والعمل بالعلم، ودوام الوقار، ومنع التكبر وترك الدعاء وترك الدعاء به، والرفق بالمتعلم، والتأني بالمتعجرف، وإصلاح المسألة للبليد، وبرك الأنفة من قول لاأدرى، وتكون همته عند السؤال خلاصة من السائل لإخلاص السائل، وترك التكلف، واستماع الحجة والقبول لها وإن كانت من الخصم.

آداب الرجل إذا أراد النكاح

يطلب الدين، ثم بعده الجمال والمال إن أراده، ولا يشارط على ما يأتيه ، ولا يضمره ، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا يأذن في إملاكه وعرسه بما يباعده من ربه ويزريه، ولا يجلس في خلواته حيث يرى غيره حرمته، ولا يقبلها بين أهله ، ويبدؤها إذا خلا في سؤاله، ولا يكون سفيره كذابا ، ولا المخبر له نماما بل من خاصتها ، ويسأله عن دينها ومواظبتها على صلاتها، ومراعاتها لصيامها، وعن حيائها ونظافتها ، وحسن ألفاظها وقبحها، ولزوم بيتها ، وبرها بوالديها ، ويتلطف قبل العقد في النظر إليها ، وبعده بما يبلغها بالكلام الجميل، ويبحث عن خصال والدها ودينه، وحال والدتها ودينها وأعمالها.

آداب المرأة إذا خطبها الرجل

تأمر من تأمن به من أهلها إن كان صدوقا أن يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته في نفسه وصدقه في وعده ، وتنظر من أقرباؤه، ومن يغشاه في بيته وعن مواظبته على صلواته وجماعته، ونصيحته في تجارته وصنعته ، ويكون رغبتها في دينه دون ماله، أو في سيرته دون شهرته ، تعزم معه على القناعة وتكون لأوامره مطيعة، فهو آكد للألفة وأثبت للمودة.

آداب الجماع

طيب الرائحة، ولطافة الكلمة، وإظهار المودة، وتقبيل الشهوة، والتزام المحبة، ثم التسمية، وترك النظر إلى الفرج، فإنه يورث العمى، والستر تحت الإزار، وترك استقبال القبلة.

آداب الرجل مع زوجته

حسن العشرة ، ولطافة الكلمة ، وإظهار المودة، والبسط في الخلوة ، والتغافل عن الزلة ، وإقالة العثرة، وصيانة عرضها، وقلة مجادلتها ، وبذل المؤونة بلا بخل لها وإكرام أهلها ودوام الوعد الجميل، وشدة الغيرة عليها.

آداب المرأة مع زوجها

دوام الحياء منه ، وقلة المماراة له، ولزوم الطاعة لأمره، والسكون عند كلامه ، والحفظ له في غيبته، وترك الخيانة في ماله، وطيب الرائحة، وتعهد الفم ونظافة الثوب، وإظهار القناعة، واستعمال الشفقة، ودوام الزينة، وإكرام أهله وقرابته ورؤية حاله بالفضل ، وقبول فعله بالشكر، وإظهار الحب له عند القرب منه، وإظهار السرور عند الرؤية له.

آداب الرجل في نفسه

لزوم الجمعة والجماعة، ونظافة الملبس، وإدامة السواك، ولا يلبس المشهور ولا المحقور ، ولا يطيل ثيابه تكبرا ، ولا يقصرها متمسكنا، ولا يكثر التلفت في مشيته، ولا ينظر إلى غير حرمته ، ولا يبصق في حال محادثته، ولا يكثر القعود على باب داره مع جيرانه ، ولا يكثر لإخوانه الحديث عن زوجته وما في بيته.

آداب المرأة في نفسها

أن تكون لازمة لمنزلها، قاعدة في قعر بيتها، ولا تكثر صعودها ولا إطلاعها الكلام لجيرانها ، ولا تدخل عليهم إلا في حال وجوب الدخول ، تسر بعلها في نظره ، وتحفظه في غيبته ، ولا تخرج من بيتها وإن خرجت فمتخبئة تطلب المواضع الخالية، مصونة في حاجاتها ، بل تتناكر ممن يعرفها ، همتها إصلاح نفسها، وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصومها ، ناظرة في عيبها، متفكرة في دينها، مديمة صمتها ، غاضة طرفها، مراقبة لربها، كثيرة الذكر له، طائعة لبعلها ، تحثه على طلبه الحلال، ولا تطلب منه الكثير من النوال، ظاهرة الحياء ، قليلة الخناء، صبورة شكورة، مؤثرة في نفسها ، مواسية من حالها وقوتها.

وإذا استأذن بابها صديق بعلها ، وليس بعلها حاضرا، لم تستفهمه ، ولا في الكلام تعاوده غيرة منها على نفسها وبعلها منه.

آداب المعاشرة

إذا دخل مجلسا أو جماعة سلم وجلس حيث امتنع وترك التخطي ، وخص بالسلام من قرب منه إذا جلس، وإن بلى بمجالسة العامة ترك الخوض معهم ، ولا يصغي إلى أراجيفهم ، ويتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم ، ويقل اللقاء لهم إلا عند الحاجة ، ولا يستصغر احدا من الناس فيهلك، ولا يدري لعله خير منه، وأطوع لله منه، ولا ينظر إليهم بعين التعظيم في دنياهم، لأن الدنيا صغيرة عند الله، صغير ما فيها ، ولا يعظم قدر الدنيا في نفسه فيعظم أهلها لأجلها، فيسقط من عين الله ، ولا يبذل لهم دينه ، لينال من دنياهم و فيصغر في أعينهم، ولا يعاديهم، فتظهر لهم العداوة ، ولا يطيق ذلك ولا يصبر عليه إلا أن تكون معاداة في الله عز وجل ، فيعادي أفعالهم القبيحة ، وينظر إليهم بعين الشفقة والرحمة، ولا يستكثر إليهم في مودتهم له، وإكرامهم إياه، وحسن بشاشتهم في وجهه، وثنائهم عليه، فإن من طلب حقيقة لك لم يجده إلا في الأقل ، وإن سكن إليهم وكله الحق إليهم فهلك ، ولا يطمع أن يكونوا له في الغيب كما له في العلانية ، فإنه لا يجد ذلك أبدا ، ولا يطمع فيما في أيديهم فيبذل لهم ، ويذهب دينه معهم، ولا يتكبر عليهم ، وإذا سأل أحدا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد، وإن لم يقضها فلا يذمه فيكتسب عداوته ، ولا يعظ أحدا منهم إلا أن يرى فيه أثر القبول ، وإلا عاداه ولم يسمع به.

وإذا رأى منهم خيرا أو كرامة أو ثناء فليرجع بذلك إلى الله عز وجل ، ويحمده ويسأله أنه لا يكله إليهم، وإذا رأى منهم شرا أو كلاما قبيحا أو غيبة أو شيئا يكرهه ، فيكل الأمر إلى الله تعالى ، ويستعيذ به من شرهم ، ويستعينه عليهم، ولا يعاتبهم، فإنه لا يجد عندهم للعتاب موضعا ، ويصيرون له أعداء ، ولا يشفي غيظه ، بل يتوب إلى الله تعالى من الذنب به سلطهم عليه ويستغفر الله منه ، وليكن سميعا لحقهم أصم عن باطلهم.

آداب الولد مع والديه

يسمع كلامهما ، ويقوم لقيامهما ويمتثل لأمرهما، ويلبي دعوتهما ، ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة ولا يبرمهما بالإلحاح ، ولا يمن عليهما بالبر لهما ، ولا بالقيام بأمرهما ، ولا ينظر إليهما شزرا ولا يعصي لهما أمرا.

آداب الوالد مع أولاده

يعينهم على بره، ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم ، ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم ولا يمنعهم من طاعة ربهم ، ولا يمن عليهم بتربيتهم.

آداب الإخوان

الاستبشار بهم عند اللقاء ، والابتداء بالسلام ، والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس، والتشييع عند القيام ، والإنصات عند الكلام ، وتكره المجادلة في المقال ، وحسن القول للحكايات ، وترك الجواب عند انقضاء الخطاب ، والنداء بأحب الأسماء.

آداب الجار

ابتداؤه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عليه السؤال ، ويعوده في مرضه ، ويعزيه في مصيبته ، ويهنيه في فرحه ، ويتلطف لولده وعبده في الكلام ، ويصفح عن زلته، ومعاتبته برفق عند هفوته، وغض عن حرمته ،ويعينه عند صرخته ، ولا يديم النظر إلى خادمته.

آداب السلطان مع الرعية

استعمال الرفق ، وترك التعنيف، والفكر قبل الأمر ، وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم ، والتودد إلى العامة مع مزج الرهبة لهم ، والتطلع على أمور الحاشية، واستعمال المروءة مع أهل العلم ، والتوسعة عليهم وعلى الأصحاب والأقارب ، والرفق في الجناية، ودوام الحماية.

آداب الرعية مع السلطان

قلة الغشيان لبابه ، وترك الاستعانة به إلا لشيء يلزم أمره، ودوام الهيبة له وإن كان ذا رفق ، وترك الاستجراء عليه وإن كان ذا لين ، وقلة السؤال وإن كان مجيبا ، والدعاء له إذا ظهر ، وترك الكلام فيه والإنشاد إذا غاب.

آداب القاضي

إدمان السكوت واستعمال الوقار، وهدوء الجوارح ، ومنع الحاشية من الفساد والطغيان ، والرفق بالأرامل ، والاحتياط لليتيم ، والتوقف في الجواب ، والرفق بالخصوم، ومنع الميل إلى أحد الخصمين، والمواعظة للمخالف ، ودوام اللجإ إلى الله في صواب القضاء.

آداب الشاهد

استشعار الأمانة، وترك الخيانة ، والتثبت في الشهادة ، والتحفظ من النسيان ، وقلة المجالدة للسلطان.

◆ عن مجموعة رسائل الإمام الغزالي

يتبع.../

تحليل هدية ابن منصور الحوتي للشيخ ابن يجبش التازي

الحلقة السادسة

■ د. ربيعة بنويس -كلية الآداب والعلوم الإنسانية -القنيطرة

مخالفة هوى النفس والدعوة إلى مكارم الأخلاق

قالت : لله درك من وقفي ، لقد أثلجت صدري ، وجزيت خيرا من صفي ، لقد عرفتني قدري ، لكن بقيت عندك مسألة لم تجد لها مجيبا ، وهي عندي معضلة ، إذ غلب عليها أكثر القلوب، وإنها نار الهوى ، ولم أر من اشتغل بطلب الدوا، لأني رأيت أكثر متفقهة الزمان باعوا دينهم بأبخس الأثمان ، وصاروا يترخصون فيما يعود إليهم من أمرهم ، ويضيقون على مساكين من غيرهم ، فقست قلوبهم ، ولم تتجاف عن المضاجع جنوبهم ، أظهروا العلم على لسانهم لتلحظهم عيون أهل زمانهم ، وليقال : فلان نعم الفقيه، وفلان والله جاد ونبيه ، وما أذق نظره ، ولا أعلى في الفهم قدره، فإذا عظمته القلوب ، وظهر له أنه عند بعض الناس محبوب ، استدرجه شيطانه ، وقاده حرمانه للتخدم للملوك والأمراء، والعمال والوزراء ، لينال مما لديهم ، ويصير كل غاديا ورائحا إليهم ، يرخص لهم في المسائل ، ولم يخف في الله لومة لائم ولا قول قائل ، أعانهم على حب ما أبغض الله عز وجل ، وهو غدا مسؤول على كل ما قل وجل ، وكان حقه معهم بذل النصيحة بالمواعظ الصحيحة والنية البليغة ، فإذا به قد عكس الأمر بضده ، ولم يقف فيما أمر به على حده ، غرته الدنيا بزهرتها فنسي الآخرة وجمال نظرتها ، فمن كان موصوفا بما ذكرت ، مشغوفا بما إليه أشرت ، كيف يكون أمينا ، أو يأخذ عنه أحد دينا ، لأن من لا يدفع الداء على نفسه ، فكيف يدفعه عن أحد من أبناء جنسه.

فأريد بفضلك أن تبين لي مسألتي ، وتزيح لي الإشكال عن معضلتي ، لأني منها في كرب عظيم، وذكر بين الجوانح مقيم، وهي أن العلوم كثيرة ، الأعمال غزيرة ، ولم أدر بأيها يكون ابتدائي ، ولا في أي نوع منها يكون تعبي وعنائي ، وأقضي فيه عمري ليقض فيه أثري ، وأنال درجة الاقتداء ، وأكون منار الاهتداء.

فقلت : إن هذا من عجب العجب ، وإشاعة في العالم قد وجب ، لأن منك تقتبس أنواع العلوم ، ومثلك يسترشد لدقائق الفهوم فكيف تدعين هذا التقصير ، كما هو باعه في العمر قصير، فإن تحيرت في هذه المسألة فأنا أكثر ، وإن ادعيت قصر الباع فباعي أقصر، لكن أقرع باب الكريم في تيسير الجواب ، لأن بيده تيسير ما يعسر من الأمور الصعاب ، توفية لكمال قصدك وتأدية لصحيح ودك، أقول طالبا من الله عز وجل حسن التوفيق لأفضل مقول:

عليك اعتمادي في جميع مسائلي
فمن لي بفتح في جوابي كامل
منوط بتصحيح المعاني مبين
لمن قصد الخيرات من كل عامل

أما من ذكرت من غلبة الدنيا على القلوب ، فذلك من مسامحة النفس فيما يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والذنوب ، الموجبة سخط علام الغيوب .. فمن أجل ذلك قست وعن نور الهداية انطمست ، واشتبهت لها الشبهات بالحقائق والتبست ، فطلبت رخصة كل مذهب ، فذهبت في أودية الضلال كل مذهب ، لأن سالك هذا المهيع لاعب بدينه ، سالك فيما يفسد عليه قوة يقينه، فإذا عمي القلب ، لم ير شيئا من العيب ، واستحقر ما يرتكبه من الذنب. وإذا اشتد على الدنيا حرصه، ظهر للخلق نقصه، وضعفت أحلامه، فلم يؤثر كلامه ، ولم يظهر لنور العلم والقرآن في قلبه أثر ، ولا لنفسه عن هواها مزدجر، ورفعت منه الأمانة، وظهرت عليه آثار الخيانة ، لأنه خالف الأمر المنزول في قوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول» سورة الأنفال / الآية:27، وسبب هذه الخيانة أنه عظم في قلبه حب الدنيا ، فخلع من عنقه ربقة الحيا، وصار يداهن الناس، ويظهر له ذلك أنه من باب المدارات ، ولم يظهر له من أجل ما غلب على قلبه من الدين فروق الإمارات ، وجعل يظهر لمن يتقيه ، ولم يطمع فيه التأويلات البعيدة ، ويتجافى الأقاويل التي هي على نفوس المتبعين لهواهم شديدة ، ونسي أن شر الناس من باع دينه بدنياه ، وشر منه من باع دينه بدنيا سواه... ولذلك أشار بعضهم بقوله:

عجبت بمبتاع الضلالة بالهدى
ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه
بدنيا سواه فهو من دين أخيب

قالت : بين لي بفضلك ما بين المداهنة، والمدارات؟ وهل بينهما في الفرق إمارات ؟ لأن ظاهرهما التساوي، ولكن أخاف هذا النظر قاصر مما غلب علي من المساوي.

فقلت : الفرق بينهما من غير تعليل ، ما قال الشيخ عبد الجليل ، المدارات ما أسلم فيه الدين ، والمداهنة ما سلمت فيه الدنيا، فانظر يامسكين.

قالت: أرجح لنا بفضل سيادتك للمسألة؟ فالقلوب من أجلها مقفلة.

فقلت : قد فهمت منك إدارة اختباري ، في ضعف فهمي ووهن اعتباري.

قالت : كيف تقول مثل هذا وأنت نهيتني عن الظن القبيح؟ وأنه ينبغي للعاقل أن يخرج كاملا إلا على وجهه الصحيح؟ إن المرء كلما تكلم كلمة لها ثلاثة دواوين، ولذلك التزم الصمت عباد الله الصالحين.

فقلت : أليس قد قلت في أول الخطاب ، حين طلبت مني هذا الجواب ، هل فهمت شيئا من أسراري أو حل حجاك بجواري؟

قالت : لله درك من فطن ، لقد عثرت على الداء على الموطن ، فكيف يستخرج الجواب إن كنت من أولي الألباب؟

فقلت : أردت أن تأخذي العلم بالحيلة، وذلك من قلة الفضيلة ، وهو عند العقلاء من الأمورالمستحيلة، وليس فيه بركة ، وطالبه في هذا الوجه كمن أعرض عنه وتركه ، وأظنك، والله أعلم، لم تفهمي شيئا من أمورك، وأن غيرك يتلذذ بلذيذ خمورك، وأنت كما يقول بعض كبار هذا الشأن ، فلان وسط الماء وهو عطشان ، وعلى مثلك يصدق قول القائل:

دواؤك منك وما تشعر
دواؤك منك وتستكثر

وما أشرت به إلي من التطفل أولا ، فقد ظهر الآن فيك مكمل، إذ الكوز يرشح بما فيه، وبما عنده يقذف المعديين لمستقذفيه.

قالت: الآن قطعت كلامي ، وأوجبت علي ملامي، وعلى مثلك على مر الزمان يذكر ويتلى، أضرب الوتد تعلق لك مظلا.

فقلت : ما هذا الفريدة التي أبديت ، فلأن طورك قد تعديت، رجعت بعد الرغبة وحسن المطلب، لإسقاط المروءة وسوء الأدب، فنعوذ بالله بالحور بعد الكور، ولكن من سبق له الحرمان، ولو كان كالذئب يصير كالثور.

قالت : إياك الحدة والطيش ، فإنهما يذهبان لذة العيش ، أين كاظم الغيظ والحلم ، والاجتهاد في العلم بالتعلم ، والعفو عن الجاهل ، إذ لمتتبع السنة ، كل صعب عليه سهل ، ولا يغضب لنفسه ولا يستحقر أحدا من أبناء جنسه .

فقلت: ما أشرت إليه من مكارم الأخلاق ، ليس هو عند العارفين على الإطلاق ، إذ لكل مقام مقال ، ولكل عمل رجال ، أليس ، قد قال الشافعي رضي الله مشيرا لمن له همة وعلو مقدار، « من استغضب ولم يغضب فهو حمار»

والمسائل العلمية لا تنال بحسن الأدب وصدق النية.

والتحلي بالسكينة والوقار ، وإظهار الذلة والافتقار ، لينشرح صدر معلمه ، ويقلبه قلب متعلمه ، ولذلك أشار بعضهم بقوله:

أرى المعلم والطبيب كلاهما
لا ينصحان إذ هما لا يكرما
فاصبر لدائك إن جفيت طبيبه
واصبر لجهلك إن جفوت معلما

قالت : ظهر لي أنك وجدت علا في ملامي ، وأنه عندك مقتي وملامي ، فلا تكرهن ما برز من قولي ، ولا تميلن لعتبي وعذلي ، لأني أردت اختبار أخلاقك ووقوفك على الحدود تقييدك وإطلاقك، وهل أنت ممن يزن أفعاله بميزان الشريعة ، ورقت همته على المقامات الرفيعة ، لأن العبد مأمور بصحة الأخيار ، فإذن لابد من الاختيار ، ولذلك قال بعض الحكماء ، إذا أردت أن تصحب شخصا فأغضبه ، فإن أنصفك فاصحبه ، وإلا فاهرب منه ، لأنه إذا انتشب معه ، وكانت أخلاقهما غير مجتمعة ، ربما يودي في ذلك إلى مرارة العداوة بعد النصيحة والحلاوة ، ويكون أضر به من جميع الأعداء ، لأنه أعرف بموضع الداء، ولذلك قيل: احذر من عدو مرة، واحذر من صديقك ألف مرة ، فربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة ، فلا تسأل عما يلقى معه من النكر والشقاق ، وما يكابد من التصنع والمداهنة التي تشبه النفاق ، ويقول حينئذ ما قال ذلك القائل :

ومن نكر المرء على الدنيا لم ير
عدوا له ما من صداقته بد

ميثاق الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1077
السنة37
الجمعة 28 جمادى الأولى 1425 هـ
الموافق 16 يوليوز 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1077 الجمعة 28 جمادى الأولى 1425 هـ .الموافق 16 يوليوز 2004م

الوضع الذي كانت عليه طنجة في فجر الحركة الوطنية والنظام الذي نشأ بعده

الحلقة الأولى

■ بقلم المرحوم: سماحة الشيخ محمد المكي الناصري

■ كانت طنجة في فجر الحركة الوطنية وبداية العشرينات لا تزال تواصل سيرتها الأولى التي ظلت عليها تحت حكم المخزن الشريف مثل بقية المدن المغربية قبل اعلان الحماية، ولم تكن تتميز عنها من الناحية الادارية الخاصة إلا بقيام مجلس صحي سعى في تأسيسه بعض الاعيان من الأجانب، بعد تفويض من السلطان سنة 1840 واحداث لجنة تابعة له تقوم ببعض المصالح البلدية وافق عليها السلطان سنة 1892.

وإذا كانت الاتفاقات السرية والعلنية المتعلقة بالوضع الدولي للمغرب قد تضمنت الرغبة في إقامة نظام اداري خاص تتميز به طنجة عن بقية أجزاء المغرب، فإن الدول الثلاث التي كان يعنيها هذا الأمر، وهي انجلترا واسبانيا وفرنسا، لم تصل إلى اتفاق بشأن ذلك النظام الخاص إلا بعد مرور ثلاث عشرة سنة، رغما عن كونها شرعت في بحثه والمفاوضة فيه غداة اعلان الحماية، وعقدت اللجنة المكلفة بوضع مشروعه 63 جلسة حتى كانت على وشك الانتهاء منه، لكنها فوجئت بإعلان الحرب العالمية الأولى، فأجلت البت فيه إلى أن تنتهي الحرب وتظهر نتائجها الحاسمة، ولصالح من ستكون، ومرت فترة انتظار وتردد بعد انتهاء تلك الحرب في مفاوضات صعبة ومتقطعة، إلى أن حلت سنة 1923، فاستؤنفت المحادثات بين الدول الثلاث، وانعقد بلندن مؤتمر من بين الخبراء لهذا الغرض ابتدأ عمله يوم 26 يونيو، كما انعقد بباريس مؤتمر من بين الدبلوماسيين لنفس الغاية ابتداء يوم 27 اكتوبر، وتم التوقيع على الاتفاق الخاص بنظام طنجة يوم 18 دجنبر1923، وهذا االاتفاق يحتوي على 56 فصلا.

أما المصادقة عليه فقد تمت من طرف اسبانيا ضمن مراسلات متبادلة بين رئيس الحكومة الفرنسية وسفير اسبانيا بباريس يوم 7 فبراير 1924، وتمت المصادقة عليه من طرف فرنسا بتاريخ 22 ماي من نفس السنة، وتبعتهما انجلترا فصادقت عليه بتاريخ 14 ماي وفي نفس اليوم وضعت الدول الثلاث وثائق مصادقتها عليه بباريس، وانضمت إليها دول عقد الجزيرة جميعا، ماعدا الولايات المتحدة الأمريكية وايطاليا، وفي يوم 23 غشت 1924 تم إعداد المدونات القانونية اللازمة للقضاء الدولي بطنجة.

وفي السنة التالية شرعت لجنة المراقبة في عقد اجتماعاتها ابتداء من يوم 27 يناير، ودشن المجلس التشريعي أعماله بتاريخ 10 فبراير، وابتدأت المحكمة المختلطة تمارس اختصاصها في نفس اليوم الذي جرى فيه التدشين الرسمي للنظام الخاص بطنجة، وهو يوم فاتح يونيو 1925، ولزم الانتظارثلاث سنوات أخرى قبل أن تنظم ايطاليا إلى النظام، وذلك بتاريخ 28 يوليو 1928، وتعهدت لها الدول االثلاث بادخال تعديل على الجانب القضائي والمدونات القانونية التي جرى بها العمل، خلال مدة سنتين، أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد استمرت خارج النظام إلى أن انتهت الحرب العالمية الثانية وعاد النظام الدولي إلى طنجة، فانضمت إليه بمقتضى ظهير 22 شتنبر 1945 وحصلت على أربعة ممثلين داخل المجلس التشريعي، ونفس الحق أعطي للاتحاد السوفياتي، بمقتضى ذلك الظهير، لكنه لم يمارس هذا الحق بالمرة.

ماهي مآخذ الحركة الوطنية على هذا النظام؟

لقد بدأت الصورة الأولى التي اعطيت عن هذا النظام صورة مصغرة لاتشير أي شبهة، هي أن طنجة لها طابع خاص بصفتها مقرا للسلك الدبلوماسي ومتوفرة على بعض المؤسسات البلدية والصحية، وذلك حسبما جاء في الفصل التاسع من التصريح الفرنسي الانجليزي الصادر بتاريخ 3 أبريل 1904، والمصادق عليه من طرف اسبانيا بتاريخ 3 اكتوبر من نفس السنة، ثم أكدت نفس الشيء ونفس الصورة معاهدة الحماية الموقعة بفاس سنة 1912 في فصلها الأول، حيث تقول: "وهكذا مدينة طنجة ستحفظ الصفة الخاصة التي اعترف لها بها، والتي ستجدد تنظيمها البلدي".

لكن عندما اتفقت فرنسا واسبانيا على تحديد منطقة النفوذ الاسباني بتاريخ 27 نونبر من نفس السنة لم تقع الاشارة إلى "النظام البلدي" لطنجة مطلقا، بل برزت صورة أخرى أوسع وأخطر للنظام المرتقب عندما صرح الطرفان في الفصل السابع من اتفاقيتهما بأن طنجة وضاحيتها . عندما تزود بنظام خاص . ستكون لها حدود معينة، وهكذا بدأ الحديث عن منطقة ثالثة لها وضعية مخالفة لوضعية المنطقتين الاخريين.

وبمرور الايام، وتوالي الأحداث من سنة 1912 موعد اعلان الحماية، إلى سنة 1923 موعد اعلان النظام الخاص بطنجة انتفخت أوداج الطامعين، واتسعت دائرة مطامعهم ونزواتهم إلى أن أصبح ذلك النظام عبارة عن دولة داخل الدولة، مستقلا بسلطته التشريعية في المجلس التشريعي،وبسلطته القضائية في المحكمة المختلطة، وبسلطته التنفيذية في الادارة الدولية ولجنة المراقبة، وبسلطته المالية في الميزانية والمرافق التي وضعت تحت تصرفه من طرف المغرب ليتمتع بها ويتوسع على حسابها جيش عرمرم من الموظفين الأجانب يكفي لدولة بأكملها، بينما مجموع سكان منطقة طنجة أبان إقامة ذلك النظام لم يكن يزيد عن حوالي 72 الف نسمة، والمساحة التي أقيم عليها لاتزيد عن 275كيلو متر مربع، عمقها لا يزيد عن حوالي 20كيلو متر وهكذا أصبح الأجانب وحدهم هم سادة هذا النظام، القائمين عليه، والمسيرين له، والمنتفعين به وبمزاياه سياسيا واقتصاديا، وبعد التفويض العام والدائم للسيادة المغربية الذي انتزعوه بالقهر من المغرب لم يبق للدولة المغربية في هذا النظام إلا الاسم، ولم يبق للمغاربة فيه إلا فتات الموائد.

وبديهي أن تتعرض حقوق المغرب ومصالحه للضياع بعد أن أصبح غائبا عن الساحة الدولية منذ اعلان الحماية، بمقتضى القيود التي وضعتها معاهدة فاس لسيادته الخارجية، بحيث لم يحسب للمغرب والمغاربة أي حساب عندما كانت الدول الثلاث تضع فصول هذا النظام، واكتفت بالتمويه عندما نصت في الفصل السادس والعشرين من اتفاقية باريس على أن النظام الذي وضعته لايمس بحقوق سيادة السلطان ولابمكانته السامية كرئيس للجماعة الإسلامية، وعميد للعائلة العلوية الشريفة المقيمة بطنجة، وأنه سيظل محتفظا بصلاحية إدارة شؤون الاهالي المغاربة، وتسيير المصالح الإسلامية في المنطقة بواسطة موظفين مغاربة معينين مباشرة من طرفه، ومراقبين من وكلائه، وهؤلاء الوكلاء الذين يراقبون الموظفين المغاربة هم المراقبون الفرنسيون الذين ينفذون السياسة الاستعمارية لفرنسا والمعينون من طرف الاقامة الفرنسية العامة بالرباط، وكمثال لتهميش المغاربة المسلمين الذين هم أكثرية السكان بطنجة وضاحيتها حيث كان عددهم يبلغ 40 ألف نسمة خصص لهم في المجلس التشريعي ستة مقاعد لاغير، يعين أصحابها من طرف المندوب المغربي الخاضع للرقابة الفرنسية بينما المقاعد المخصصة للأجانب، الذين لم يكن يتجاوز عددهم في ذلك الوقت 15 ألف نسمة 18 مقعدا ولليهود المغاربة الذي لم يكن يتجاوز عددهم 12 ألف نسمة ثلاثة مقاعد أي نصف المقاعد المخصصة للمغاربة المسلمين، وبينما تعهدت اتفاقية باريس بادخال تنظيم جديد على العدلية اليهودية يتفق عليه فيما بعد، أكدت نفس الاتفاقية تاكيدا قاطعا على وجوب الاحتفاظ بالطرق التقليدية في كل ما يخص مرافق المسلمين المغاربة، حتى لايدخل عليها أي تطور أو تجديد وذلك بمقتضى الفصل الرابع والفصل السابع والعشرين من تلك الاتفاقية أما المحكمة المختلطة التي اعتبرها النظام هي الوارث الشرعي المباشر لقضاء المحاكم القنصلية والامتيازات الاجنبية، فقد أصبحت هي حجر الزاوية في النظام العدلي والقضائي بمنطقة طنجة، وذلك على حساب القضاء الوطني، حيث أعطي لها اختصاص عام في المادة الجنائية بمقتضى الفصل الخامس من ملحق الظهير القضائي، كما أعطى لها الاختصاص المدني والعقاري بمقتضى الفصول: الواحد والثاني والثالث والسادس من نفس الملحق المذكور ووقع الاتفاق على احتكار مناصب القضاء فيها للقضاة الاجانب وحدهم بحيث لم يعين فيها عند انشائها أي قاض مغربي، وجعلت لغتها الرسمية محصورة في اللغتين الفرنسية والاسبانية، مع اهمال اللغة العربية إهمالا كليا.

والذي زاد الطين بلة وضاعف من سلبيات هذا النظام ماأدرجته اتفاقية باريس في فصلها العاشر، للحيلولة دون قيام أي حركة اصلاحية أو حركة احتجاجية، وللوقوف في وجه كل تطور سياسي واجتماعي في الوسط المغربي، حيث نصت على منع القيام بأي تهييج أو دعاية، أو اعداد أي عمل ضد النظام القائم في منطقة الحماية الفرنسية ومنطقة الحماية الفرنسية أو في الخارج، وذلك حسب الصيغة الاصلية لهذا الفصل، ولما حانت فرصة تعديلية عمم هذا المنع على جميع مناطق المغرب بما في ذلك منطقة طنجة نفسها، وبناء على هذا النص وتاويلا له حسب الاهداف الاستعمارية منعت عدة مؤسسات مغربية، ولو كانت ذات طابع رياضي أو ثقافي، وامتدت يد النفي والطرد من طنجة إلى عدد غير قليل من احرار الطنجيين وغيرهم، كما حجز عدد من الطلبة والشباب المغاربة المارين بطنجة في طريقهم إلى الخارج، وفتشت امتعتهم وأوراقهم تفتيشا دقيقا، أو منعوا من دخولها بتاتا، وهذا الفصل هو الذي طبق على قادة الجبهة الوطنية أثناء عودتهم من منظمة الامم المتحدة سنة 1952 حيث منعوا من دخول طنجة، بل حتى من النزول بجبل طارق، ولم يسعهم وقد اقفلت في وجوههم جميع المناطق المغربية إلا أن يواصلوا رحلتهم ليظلوا في النفي أكثر من أربع سنوات ويمقتضى هذا الفصل نفسه طرد من طنجة الأمير شكيب ارسلان والزعيم بورقيبة.